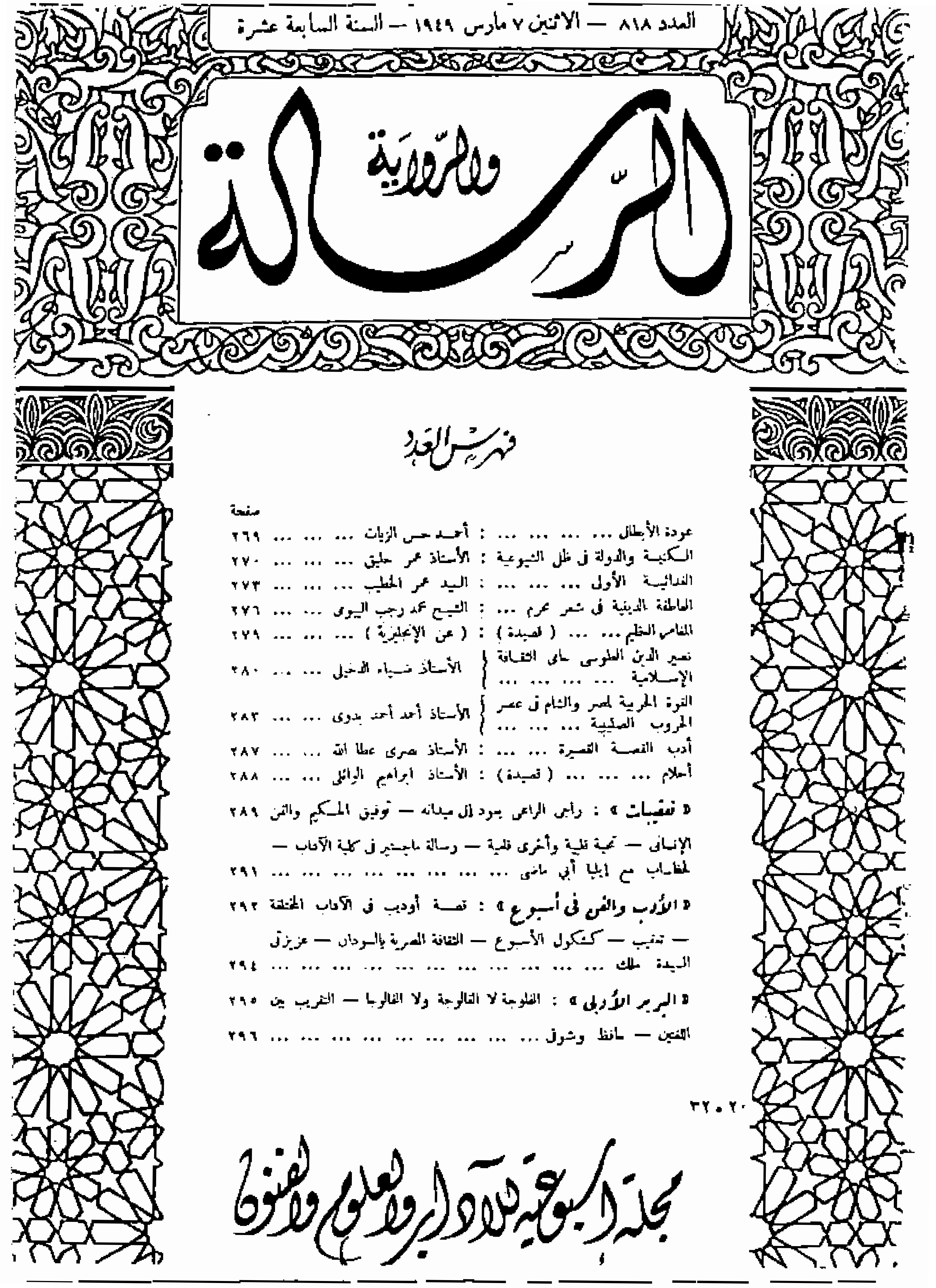


العدد ٨١٨ — الاثنين ٧ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 <u>e</u> Année No. 818

Lundi — 7 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨١٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٧ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

عودة الأبطـــــال

اليوم يعود أبطال الفالوجة إلى أحضان الوطن المنجب الخالق، فيلقاهم لقاء المعجب الزهو، وفي يمناه أكاليل الغار للجباه المرفوعة، وفي يسراه أوسمة الفخار للصدور الجريئة. ثم يقبل بلده على حماة العز وأباة الذل وسقاة المنون ويقول لهم بألسنة الجموع الوافدة من كل إقليم، الحاشدة في كل طريق، الهاتفة في كل مكان: مرحى! مرحى! لله غرس زكا ونشأ كرُم وشباب عز! لا تزال مصر كنانة الله ما دام ثراها طيباً ينبت هذه الأجساد، ونيلها طهوراً يغذي هذه الأرواح، وجوها صافياً يبدع هذه الشمائل!

كانت هذه البطولة المثلية النادرة لجيش الوادي مكظومة في نفوسه الكبيرة، لا تجد لها متنفَّساً ولا منفساً من سوء الحال ومكر الاحتلال حتى ظُنت به الظنون، وطارت حوله الرِّيَب، وقال المرجفون من ذئاب الاستعمار وأذناب المستعمر: إن مصر كالحسناء المشتهاة، جمالها يغري بها ولا يدفع عنها. فلا بد لها من زوج قادر يضمن لها المصير، ويذود عنها الغِير. وأوهموا الناس أن جنودنا دُمى للزينة، وأسلحتنا لُعب للهو. وساعدهم على هذا الإفك حكومات كنواطير الكرمة أقامها الثعلب ليخدع بها غيره. ثم أخذ يعيث في العنب ولا يخاف، ويجاهر بالصباح ولا يبالي! حتى أراد الله للسر المكنون أن يذيع، وللكنز المدفون أن يظهر، فقيض لها رجل الأمة النقراشي. وكانت محنة فلسطين، فألفى الرجل العظيم في وطيس الحرب بالجوهر الأصيل والمعدن الحر، فثبت على النار كما يثبت الذهب المصفّى على المحك.

فلله يوم ذوَّب الغشَّ نارُه ... فلم يبق إلا صارم أو ضُبارم
تقطّعَ ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفرّ من الأبطال من لا يصادم

وبقي المعدن المصري وحده في البُوتقة! وقال الغريب: إنها فرصة تبحث بيني وبين مصر المعاهدة المقبورة. وقال القريب: إنها محنة تكشف قليلاً من غلواء مصر المغرورة! وقال جيش الفاروق: لا هي فرصة، ولا هي محنة، وإنما هي نشيد جديد من ملحمة البطولة التي لا تزال تنظمها مصر. ووقف من قواد روسيا وجنود صهيون وأسلحة أوربا وممالأة أمريكا ومخادعة انكلترا، موقفه المعروف الخالد، فخيب آمال العدو، وكذّب ظنون الصديق!

وكانت الفالوجة بؤرة النار وقطب المحنة: احتشدت لها جموع اليهودية وأوربا الشرقية مدربة مجهَّزة، وأحدقت بها قواها البرية والجوية مجمّعة مركزة، وتفجرت عليها قذائف الجحيم من جهاتها الخمس أربعة أشهر واثني عشر يوماً لم يهادن فيها صهيون الحنَق الغيظ إلا ليجدد ما دُمِّرَ من عتاده، أو ليدفن ما قُتل من أوغاده. وتظاهر الحاصرين على المحاصرين اشتداد البرد ونفاد القوت ونقص الذخيرة وانقطاع المدد وإغواء العدو. فلو أن قائد الفالوجة سلّم على هذه الحال لقواد الروس، لوسعه من العذر ما وسع قائدَ باريس حين سلّم لقواد الألمان، وقائدَ برلين حين سلّم لقواد الحلفاء.

ولكن أسد العرين كان أعرف بأشباله وأبصر بواجبه وأشعرَ

الكنيسة والدولة في ظل الشيوعية

للأستاذ عمر حليم

اتجه رأس الحربة السوفيانية إلى المعقل الرئيسي الذي تتركز فيه المعارضة الراسخة المنظمة للفكرة الماركسية والدعوة الشيوعية والتوسع السوفياتي. هذا المعقل هو الكنيسة الكاثوليكية وهي نظام عالمي ثابت الأركان متحد الولاء في مركزية بابوية تعمل في تؤدة وخبرة ودقة طالما اشتهرت بها هذه الرهبانيات الكاثوليكية التي تحمل تراث عشرات القرون من النشاط الديني، وهو في المجتمعات الكاثوليكية مزيج من شؤون الدنيا والدين لا يقتصر على ناحية معينة في المجتمع الذي يعيش في وسطه ولكنه يسعى متعمداً لأن تكون له اليد الطولى في التوجيه الشعبي عن طريق المدارس وألسنة الرأي العام والكلمة النافذة في التوجيه الحكومي في الشئون الداخلية والخارجية بواسطة التكتل الكاثوليكي في الحياة السياسية.

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية في يوم من الأيام قاصرة عن تمويل هذا النشاط المحكم لأنها — كما قلت نظام عالمي موفور الموارد يتساند في الملمات ليسد الأجنحة المهيضة في هيكله الضخم وهو يضم رعية تبلغ حوالي ٤٠٠ مليون من مسيحيي العالم

فلا غرابة إذن أن تثير محاكمة الكاردينال ميدزنتي هذه الضجة المثيرة لا في العالم الكاثوليكي فحسب، وله حوالي ثلثي الأصوات في الأمم المتحدة، بل كذلك في الثقافات التي بينها وبين الكاثوليكية صراع تقليدي عنيف كالبروتستانتية الانجلوسكسونية والاسكندنافية. ذلك لأن التحدي السوفياتي لا يقتصر على الكنيسة الكاثوليكية في محاربته للقيم الدينية. وإنما هدفه هذه القيم نفسها في أي مذهب كانت، لأنها في مفهوم الشيوعية: «أفيون الشعب».

ولموسكو طرق متنوعة في صراعها مع النظم الدينية. ففي الاتحاد السوفياتي نفسه، لم تجد الثورة الشيوعية في مستهلها (١٩١٧) صعوبة في القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، فقد كانت عناصر التفكك في المجتمع القيصري تشمل الكنيسة، فضلاً عن أن الكنيسة الأرثوذكسية ليست عالمية وليس لها طبيعة الرسوخ والنفوذ الدولي الذي يتمتع به الفاتيكان. ولما تمكنت العقيدة الماركسية في نفوس الجيل الجديد في الاتحاد السوفياتي لم يجد (البوليت بيرو) في موسكو بأساً من أن يعاد تأليف الكنيسة الأرثوذكسية في كيان صوري يعالج مشاكل الجيل البائد من الأرثوذكس الروس بالإضافة إلى أن هذه الخطوة جاءت في مستهل التوسع السوفياتي الإقليمي مما صبغها بطابع من الدعاية لم يخف على أحد.

أما حالة الثلاثين مليوناً من المسلمين في روسيا السوفيانية فغامضة يحيط بها ستار من الكتمان لم يحاول الأزهر — وهو السلطة العليا في الإسلام — أن يتعرف مبلغ بؤسها. فالاتصال الروحي والفكري والجغرافي مع هذه المناطق الإسلامية في القارة الروسية منقطع. وقد بعثت موسكو نماذج من المسلمين الروس إلى الحج على سبيل الدعاية ولكنها أقلعت من ذلك. ولم يسمع المسلمين الروسيين صوت في المأساة التي ألمت ببيت المقدس. وفي تقرير نشرته جماعة من المسلمين القوقازيين المشردين في معسكرات اللاجئين الأوروبية أن النسبة الكبرى من قتلى الجيش الأحمر في معارك الشتاء الجهنمية (١٩٤٣) ضد الجبار النازي كانت من مسلمي

بثباته؟ فوقف موقفه الذي قلّت في تواريخ الأمم نظائره، ثم أخذ يطلق المنايا على قطعان المحاصرين كلما هاجوا، فيجعلهم حصيداً يحجب وجه الثرى، ويتخم بطن الأرض!

وهكذا اختار الله سيد طه وأركان حربه وسائر جنده ليكونوا حجة لمصر على أن صبرها لا ينفد، وعزمها لا يخور، وجيشها لا يقهر!

لقد طلبوا الموت فوجدوا الحياة، وابتغوا الشهادة فظفروا بالمجد، وحاربوا جنوداً فانتصروا أبطالاً، ودخلوا الفالوجة وهي نكرة من نكرات فلسطين، ثم خرجوا منها وهي معرفة من معارف العالم!

احمد حسن الزيات

القوقاز وتركستان والمناطق السوفياتية الإسلامية الأخرى في شرق آسيا وأوسطها . فقد قدم السوفيات زهرة الشباب الروسي المسلم طعما لآلة الحرب السوفياتية في مستهل الهجوم العنيف الذي طوح بحملة هتلر ، وكانت هذه أكبر تضحية في الأنفس قدمها الروس في الحرب المنصرمة .

على كل حال فإن ظروف الإسلام ليست خيراً من ظروف المسيحية في منطقة النفوذ الشيوعي في أوربا وآسيا .

وتنفرد اليهودية بحرية العمل في تلك المنطقة . فاليهود وهدم عظير السوفيات ، ولهم حرية النشـــاط المذهبي والسياسي (كالصهيونية) والتنقل من روسيا وشرق أوربا إلى أي مكان شاءوا خارج ما يسميه الغربيون « الستار الحديدي » . وأرقام الوكالة اليهودية لسنة ١٩٤٧ تشير إلى أن ٨٩ بالمائة من يهود فلسطين هم من السلافيين .

أما الكاثوليك في الاتحاد السوفياتي نفســه ، فقلة ضئيلة لا تتجاوز بضعة آلاف . ولكن الصراع بين الكومنفورم « الشيوعية العالمية » والفاتيكان يزداد حدة يوماً عن يوم في الدول الكاثوليكية التي يسيطر عليها الشيوعيون إما بالغزو المسلح أو بموجب معاهدات بوتسدام ويالطا ، أو بواسطة الانقلاب الثوري كما حدث في تشيكوسلوفاكيا

والدول الكاثوليكية في المعسكر السوفياتي هي :

	مجموع سكانها	عدد الكاثوليك
بولنده	٢٤ مليوناً	٢٢ مليوناً
تشيكوسلوفاكيا	١٢½ مليوناً	٨½ ملايين
المجر — هنغاريا	٩ ملايين	٧ ملايين

وهناك أقليات في رومانيا وبلغاريا لا تبلغ هذه النسبة المرتفعة والطرق العملية التي تلجأ إليها الشيوعية لمحاربة الكنيســة في هذه الدول تختلف في بعض أوجه التنفيذ ؛ ولكنها تتحد في مبلغ العداء والتحدي . وهذا باعتراف ستالين حين قال في إحدى خطبه :

إن الحزب (الحزب الشيوعي الروسي) لا يستطيع أن يقف على الحياد إزاء العقيدة الدينية ، وأنه يشن حملة على الدين وعلى كل أنواع التعامل المذهبي ، فهذه هي أفضل وسيلة لتقويض النفوذ الذي يمارسه رجال الكهنوت ويتصرون « الطبقـات الاستغلالية » .

لم يفعل الشيوعيون في بولنده ضد الكنيسة الكاثوليكية ما فعلوه في روسيا ورومانيا مثلاً حيث قيد نشاط الكنيسة الكاثوليكية في التوجيه الشعبي والحكومي وجردت من صلاحيات التعليم والتوجيه السياسي وجعلت دائرة حكومية مقيدة بالتعليمات شأنها شأن الدوائر الحكومية الأخرى في الناحية العملية إن لم يكن في الظاهر الخارجي . ثم حثت الأهلية الكاثوليكية على اعتناق الأرثوذكسية والتخلص من الولاء للفاتيكان هذا على الأقل ما تردده مصادر الحلفاء من أنباء شرق أوربا .

أما في بولندة حيث للكاثوليكية رسوخ متين في الأكثرية الساحقة من السكان ، فقد أحجم النظام الشيوعي القائم هناك عن الإمعان في سياسة القمع والعنف مع الكنيســة الكاثوليكية ، فقد أبقى لها بعض الحرية والنفوذ في التعليم والنشاط الاجتماعي ، إلا أنه قيدها في المجال السياسي بمشروع في السنة الماضية يسلخ عنها ممتلكاتها الواسعة مما جعلها تعجز عن القيام بمصاريف التعليم والمعاهد الخيرية محاولا بذلك إبعاد الثقة بينها وبين القوى الشعبية المؤازرة لها المتحمسة للدفاع عنها . وحين انتصرت القيادة الكاثوليكية العالمية في الفاتيكان لكنيسة بولندة وضع الشيوعيون العراقيل في وجه هذه المساعدة وترك هذا الجناح المهيض من العالم الكاثوليكي يعيش على تبرعات الزارعين البولنديين في بلد يوجه الاقتصاد فيه نحو الماركسية الشاملة مما يجعل مبلغ العون الشعبي المؤسسات الحديثة شحيحا ضئيلا مما سيؤدي إلى تقييد نشاطها التقليدي .

وفي تشيكوسلوفاكيا اتخذت الكنيســة الكاثوليكية موقفاً سلبياً في النظام الشيوعي الذي استولى على الحكم ، ولكن كاثوليك تشيكوسلوفاكيا ليسوا خيراً من إخوانهم في بولنده .

أما في هنغاريا ، فقد كان التحدي في أعنف مظاهره في بلد أكثر من ثلثي سكانه من أتباع الكاثوليكية ، فقد صادرت الدولة الشيوعية أموال الكنيسة عملا بقوانين توزيع الأراضي على صغار الزارعين ولم تترك الدولة لمؤسسات الكنيسة الخيرية سوى مخصصات تافهة ، وحددت نسبة المعلمين من الرهبان في

المدارس الأولية والثانوية التابعة للكنيسة ، ومنعت التعليم الديني إجمالا في مدارس الدولة والمعاهد الأهلية . وقد حمل الكاردينال مندزنتي وكيل البابوية في بودابست لواء التحدي لهذه الإجراءات مما أدى إلى محاكمته على النحو الذي تناقلته الأنباء .

والاتهامات التي عزيت إلى الكاردينال المندزاري أربعة :

١ — تعاونه مع الأوساط الأجنبية (الفاتيكان وسفارة أمريكا) ضد الحكومة المندزارية .

٢ — رياسته لمنظمة تسعى لقلب نظام الحكم .

٣ — متاجرته بالعملة الأجنبية (لعلها المساعدة التي يتلقاها من الفاتيكان) .

٤ — عداوته لليهود . فالعنصر اليهودي في النظام الشيوعي القائم في هنغاريا وفي كل مكان واسع النفوذ متمكن في مراكز التوجيه .

وهذه الاتهامات في حد ذاتها تظهر طبيعة الدفاع الذي تبديه الكنيسة الكاثوليكية ضد التحدي الشيوعي .

فالفاتيكان لايترك أجنحته المهيضة في منطقة النفوذ الشيوعي تصارع منفردة ، وإنما يقدم لها المعونة المادية والمعنوية بواسطة السفراء الدبلوماسيين للدول الغربية في عواصم الحكومات الشيوعية . ويبدو أن الولايات المتحدة بحكم المصلحة هي رسول الفاتيكان لأتباعه في المنطقة الشيوعية .

وهذه الاتهامات كذلك تدل على أن الكنيسة الكاثوليكية في صراعها مع الشيوعية لا تقتصر على التربية الدينية ، فهي ترعى منظمات سياسية دنيوية الوسائل كعصبة العمل الكاثوليكي التي أنشأها البابا بنديكت الخامس عشر قبل ثلاثين عاماً ، وهي شبكة من الهيئات الشعبية تجند القوى الشعبية لنصرة الكنيسة وتتكلم باسمها في الشؤون الدنية ، وهي مرتبطة مع بعضها على يد الفاتيكان وإدارته المركزية في دقة وإحكام .

وقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بخطورة التكتل العمالي واحتكار اليساريين الماركسيين لهذا التكتل فشرعت تنافسهم ؛ ففي كل مجتمع كاثوليكي نقابات للعمال الكاثوليك توحي إلى الطبقات العاملة أن الكنيسة نصيرة للعمال، وأن نصرتها لا تقتصر على الخلاص الروحي ، بل تتناول كذلك الإنعاش المادي عن يد التنظيم العمالي وما يستلزمه من ضمانات اقتصادية واجتماعية ، وهذا النشاط وإن يكن خارج سيطرة الكنيسة المباشرة ، إلا أنه يعمل بإيعازها وينال بركتها ويلبي دعوتها عند الحاجة .

أما موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود في صراعهم مع الشيوعية الدولية ، فهو غامض ودقيق ، فمن التهم الموجهة إلى الكاردينال المندزاري تهمة التحريض على اليهود . وقد حوكم من قبل عدد من الرهبان الكاثوليك في بولنده ورومانيا بنفس التهمة . والعداء لليهودية العالمية يقرأ بين السطور في المنشورات والصحف الكاثوليكية ، ومع ذلك فلا يتخذ هذا العداء على خطورته طابع التحدي العلني (وقضية العدوان الصهيوني على الأماكن المقدسة أقرب مثل على ذلك) ، وذلك لأسباب عدة ، منها أن تسرب النفوذ اليهودي إلى ألسنة الرأي العام الدولي يجعل الكنيسة الكاثوليكية تتفادى إثارة غضبه ، وخصوصاً في الدول الأنجلوسكسونية لئلا تتهم حملتها (أي الكنيسة) على الشيوعية بالعداء المذهبي والعنصري ، وهو « وباء » أحاطته اليهودية العالمية بحاجز من الأشواك الفكرية ، فأصبح وصمة يهدد بها في الحضارة المسيحية المعاصرة كل من حدثته نفسه بالكشف عن خفايا الإجرام اليهودي في عالمه المالي .

وقد وجد الكاثوليك أنفسهم في العالم البروتستانتي مرغمين على إسقاط هذه الناحية اليهودية في صراعهم مع الشيوعية الدولية لئلا يمعن النفوذ اليهودي القوي في ألسنة الرأي العام في إثارة الرقيعة التقليدية بين الكاثوليكية والبروتستانتية . وقد ظهرت بوادر هذه الوقيعة من جديد في تصريحات بعض القساوسة البروتستانت الأمريكان في تعليقاتهم على محاكمة الكاردينال المندزاري ، وكادت هذه النزعة تتسع لولا أن أقدمت حكومة شيوعية أخرى هي بلغاريا على اعتقال ١٥ قسيساً بروتستانتيا ، فقضت بذلك على إحداث التنكر البروتستانتي للضجة الكاثوليكية .

وقد استفادت القيادة العسكرية الغربية من حدة هذا الصراع الديني بين الشيوعية والدين لتكسب لها عوناً أدبياً في البرنامج الحربي الهائل الذي يعده الآن المعسكر الغربي للمعركة الفاصلة .

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رمال أمس :

الفـــدائية الأولى (*)

للسيد عمر الخطيب

« في تاريخنا الزاهر نساء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » .

— ١ —

خرج محمد يستقبل وفد (يثرب) وقد بدت على وجهه متاعب ما يكابد من عنت وأذى ، ومعاندة واستهتار ، من هذه العصبة الفاجرة من قريش ، التي ألبت عليه القبائل ، وأغرت به الصبيان والسفهاء ، ودفعت إلى هجوه الشعراء ، ينعتونه تارة بالكاهن والساحر ، وطوراً بالمجنون والشاعر ، وهو صابر على أذاهم ، راض بقضاء الله فيه ، يتسع قلبه الكبير لهذه المكاره كلها ، وتطوى نفسه العظيمة هذا العبث الذميم ، فهو يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً ، وإذا أوسعه السفهاء شتما والصبيان رجما رفع يديه إلى السماء وقال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

وحين لمح صلى الله عليه وسلم الوفد اليثربي الكبير ، اختفت من وجهه سحابة الألم ، واستقبله باسما مرحبا ، وجلس يحدثه عن دعوته ، ويبين له مبادئ رسالته ، ويحثه على الصبر والشجاعة والتضحية ، ويعلن له أن شرعته لا ترضى بالظلم والعبودية ، ولا تقر الشرك والأوثان ، وتنفر من البغي والعدوان ... فإذا بالوفد يخشع ، وبالعيون تدمع ، وبالقلوب تجيب ، وبالنفوس تصفو ، وبالأرواح تصفق ، فيتقدم الوفد اليثربي من الرسول مصافحاً معاهداً ، يبايعه على أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يأمر بالمعروف ، ويسعى في الخير ، ويدعو إلى الله ويضحى في سبيله بالمال والنفس ... (1) .

وتقدمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك امرأة رزان ، تمشي على استحياء ، ويكسو محياها خفر المؤمنة التقية ، وصبر الأم الحنون ، وجلال من تملكت الخشية قلبه ، وبسالة من باع في سبيل الله روحه ... تقدمت تعاهد محمداً على الإيمان والتضحية والإقدام .. فبارك صلى الله عليه وسلم عهدها ، ودعا لها ، وأمرها أن تكون رسولا إلى لداتها وأترابها ، تدعوهن إلى الإيمان ، وتغذوهن بلبان الإسلام ، حتى تجلى نفوسهن ، وتطهر قلوبهن ، وتسمو مكانتهن ، وينلن حقوقهن ...

— ٢ —

بينا (أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية) تنتقل من دار إلى دار ، مبشرة بالإسلام ، داعية إليه نساء العرب ، تمحضهن النصيحة ، وتزف إليهن البشرى ، وتحثهن على الخير والمعروف .. وإذا بصوت النفير ينساب من جوانب المدينة ، ويصل إلى أذنها ضئيلا خافتاً ، فيفزع فؤادها ، ويهز جوانب نفسها ، فتخف مسرعة إلى بيتها ، لتعرف الخبر من أهلها ، فإذا بها تفاجأ برهط من الصحابة مقبلين ، وقد لبسوا دروعهم ، وتقلدوا سلاحهم ، فعلمت (أم عمارة) أنها الحرب ، فانبلجت أسارير جبينها ، واستيقظت مشاعر فؤادها .. وأغذت السير حتى دخلت دارها ، فألفت ابنها وزوجها يجلون سيوفهم ، ويصلحون لأمتهم ، ويسرجون جيادهم ، فانفرجت ثناياها عن ابتسامة الرضى والفرح ، وأقبلت على ابنيها تعانقهما وتقبلهما قبلة الوداع ... وهنا صاح بها هاتف من ضميرها الحي المؤمن أن اذهبي يا أم عمارة مع الرسول في غزوته ، تضمدين الجرحى ، وتمدين السقاء ، وتصلحين من شأن المجاهدين .. فلم تشعر إلا وقد انصرفت عن ابنيها ، وراحت تعدو نحو المجد ، لتلتقي إلى الرسول بدخيلة نفسها ، وأمنية فؤادها ، لعله يسمح لها بقتال الشهادة في سبيل الله ؟ وتضع في بناء الإسلام لبنة المرأة الشهيدة (والفدائية الأولى) ...

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عمارة بالخروج لغزوة

(*) في العدد ٧٧٩ من الرسالة قصة الفدائي الأول أنس بن النضر وهذه قصة الفدائية الأولى (أم عمارة المازنية) .

(1) تلك هي بيعة العقبة .

(أحد) مع زوجها وابنيها ، فرجحت فرحة جذلة ، يرقص فؤادها طرباً ، وزغرد روحها سروراً ، وأعدت للخروج عدته ، فجمعت العصائب ، وأصلحت المراشف ، وخرجت تمنى النفس بالشهادة ، وترنو إلى الجنة ، وترقب من وراء هذا النقع الثائر النصر المبين .

— ٣ —

شمرت الحرب عن ساقها ، وحمى الوطيس ، واحمرت الأحداق ، ولم يمض غير قليل حتى التحم الفريقان : جيش محمد وجيش أبي سفيان ، فجلجلت السماء بالتكبير ، وصدق فرسان الإسلام الحملة ، وأعملوا في رقاب المشركين السيوف ، وثبتوا ثباتاً انخلعت له قلوب أعدائهم ، وتزلزلت أقدامهم ، ووهنت عزائمهم وإذا بهم يلوذون بالفرار ، أمام هذه الوثبات الجبارة من هذه الأسود المؤمنة . وظن الرابطون على الجبل أن المعركة قد انتهت ، فانصرفوا إلى الغنائم ، وكانت هذه فرصة لجيش قريش ، فكر راجعاً وعزم على أن يمحو الإسلام ، ويبطش بمحمد ، واستمات المشركون في الهجوم ، وعللوا أنفسهم بالحياة بعد الموت ، وبالنصر بعد الاندحار ...

رأت أم عمارة كتيبة من الأبطال المغاوير ثابتين حول محمد يردون عنه ، ويقاتلون دونه ، وقد آلوا أن يفدوه بأرواحهم ، ويموتوا أمامه عن آخرهم ، فثارت بها حمية الإسلام ، وأيقنت أنها ساعات فاصلة في تاريخ هذا الدين ، وتمثلت أمامها الجنة الوارفة الظلال بسلسبيلها ونعيمها وخلودها ، ورأت أن ليس بينها وبين الجنة وما أعد الله فيها للشهداء إلا أن تجود بهذه الروح ، وتهرب من هذه الدنيا ... وذهبت تطوف بخيالها في جوانب هذا العالم المنشود ، وتمتع الروح بهذه الأماني العذبة ، والآمال العطرة ... ولم يردها إلى الواقع التي هي فيه إلا صياح قريب تراءى إلى أذنها ، وصوت قوي يقول (دلوني على محمد لا نجوت إن نجا) . فنظرت أم عمارة فإذا (ابن قميئة) يعدو والسيف بيده قاصداً رسول الله ، فأظلمت الدنيا في وجهها ، وربت ربوة شديدة ، وزأرت زئير اللبؤة ديس عرينها ، وانتضت حسامها البتار ، وأقبلت تعترض طريق ابن قميئة ... وتستقبل ضرباته بصدرها وكتفها ، حتى ردت هذا الوحش المانع عن محمد ، وأكرهته على الفرار حتى ليقول الرسول صلوات الله عليه (ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني) .

ورأت أم عمارة ابنها ، وفي ذراعه جرح ينزف الدم فأقبلت نحوه تعصب جرحه وتضمده ، ثم تحفزه إلى العمل ، وتلقي عليه دروس الصبر والبطولة فتقول : (قم يا بني فضارب القوم وجاهد في سبيل الله ...) فيقوم الفتى الباسل ، ترب الشجاعة ، وليد الإقدام ، ويمشي نحو سيف ملق بجانبه ، ليعاود الكر والفر ، ويقاتل في سبيل الله . وهنا تند من رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة فيرى هذا المشهد المؤثر فيمتلئ قلبه إكباراً وحباً ويقول : (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟) ويلتفت عن يمينه فيرى رجلاً مقبلاً يخب في سيره ، ويلتفت يمنة ويسرة فيقول الرسول : (يا أم عمارة هذا الذي ضرب ابنك) وما إن سمعت أم عمارة نداء الرسول حتى اهتز كيانها ، ووثب جنانها ، وأسرعت تعترض طريقه ، وقد آلت أن تثأر لابنها ولإخوانه الذين جرحوا واستشهدوا في سبيل الإسلام ، ثم شهرت في وجهه سيفها وضربت به ساقه وصدره ، فوقع قتيلاً يتخبط بدمه ...

ورأى رسول الله هذه البطلة تثأر لابنها ، وتقتص من جرحه فتملكه إعجاب شديد ، وابتسم حتى بدت نواجذه وقال لها : (استقدت يا أم عمارة ، الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك) .

ولم تكد أم عمارة تجهز على فريستها ، وتمسح حد سيفها ، وتلقي به في غمده ، حتى سمعت تصايحاً ، ولمحت غباراً ، ونظرت فإذا بها ترى ثلة من مشركي قريش ، قادمين نحو محمد ، وفي عيونهم حنق وشر يريدون قتل الرسول واستئصال الدافعين عنه فتحسست مقبض سيفها ، ثم سلته من غمده ، وعلمت أن حديثه لم ينته ، وأن لسانه لن يسكت ، وأنه ما زال به شوق إلى الدم ، وشغف بأعناق المشركين فاستلته وصاحت (الله أكبر الله أكبر) وهمت أن تعدو نحوهم ... لتؤدبهم مرة أخرى ، وترجع برأس قائدهم الطاغية ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مولياً ومعه ترس فصاح به : (ألق ترسك إلى من تقاتل) . فألقى الرجل ترسه وتناولته أم عمارة ونهضت إلى المشركين . وهنا أقبل عليها

فاستقبلت ضربته بالترس ، وأهوت بضربة قوية على عرقوب فرسه فوقع على ظهره ، يفحص بقدميه . وخشي الرسول أن ينهض هذا العاثر فيقتل أم عمارة فصاح بابنها (يا ابن أم عمارة ، أمك أمك فداوتها) فانتضى الفتى سيفه وتقدم من الفارس العاثر وعاون أمه على القضاء عليه ولم يتركاه إلا جثة هامدة ...

— ٤ —

انصرف (ابن قيئة) إلى صحبه بعد أن ردته أم عمارة خاسئاً ذليلا ، يحمسهم ، ويقسم عليهم باللات والعزى ، أن يقتلوا محمداً ويستأصلوا دعوته ، ويبيدوا صحابته ، ويهصروا آلهتهم ... وما زال بهم حتى أثار حفائظهم ، وأذكى قلوبهم ، وأحمى دماءهم فقاموا يقصدون محمداً ...

ورأت أم عمارة ابن قيئة مقبلا قد عاد ثانية مع أصحابه بعد أن ردته على أعقابه خاسراً ، فعلمت أنه قد بيت أمراً وأراد شراً فلم تجزع ولم تجبن ، بل تطلعت نحو السماء ، تستلهم العون والقوة ؛ وتقدمت تدافع عن الرسول ، فتجندل الفرسان ، وتصرع الشجعان ، وتتلقى الضربات ثابتة الجنان ، صابرة راضية مطمئنة حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، ولم ترجع إلا مرفوعة الهامة ، موفورة الكرامة ، قد ردت مع إخوانها عدوان المشركين ودافعت عن قائدها العظيم ... والرسول الأمين ...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الدماء تتدفق من جراحها فصاح بابنها (أمك أمك . اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ...) وسمعت أم عمارة رسول الله يثني عليها هذا الثناء ويطري عملها ويبارك جهادها ، فطابت نفسها ، وقرت عينها وقالت (يا رسول الله ، ادع الله أن ترافقك في الجنة) ثم تركت لدموعها الحديث . وهنا رفع محمد يديه إلى السماء وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال : (اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة) ، فقالت أم عمارة : (ما أبالي ما أصابني من الدنيا بعد هذا الدعاء) ثم ألقت رأسها في حجر ابنها ، ونامت متأثرة بجراحها ، فخورة بجهادها ، قد اطمأن ضميرها ، وقر فؤادها ... ثم أرخى الليل جناحه ، وغمر المدينة بظلام وسكون ...

— ٥ —

نظرت (أم عمارة) وكان لا يزال رأسها في حجر ابنها فرأت الشمس ساطعة ، والنهار مشرقاً ، وسمعت المنادي يدعو إلى الجهاد والناس يسرعون في الاستعداد ، والمدينة في حركة دائبة ، وعمل مستمر فداودها الحنين للقتال ، وصاح بها هاتف من ضميرها مرة أخرى يقول : (إلى حمراء الأسد[1] يا أم عمارة ... إلى الثأر من المشركين إلى أعداء كلمة الله .. ورفع منار الإسلام) فهبت واقفة وأرادت أن تخطو إلى الأمام لتحمل سيفها وتهاجر إلى الله وتجاهد في سبيله ، ولكنها عجزت عن السير ، وأقعدتها الجروح الدامية فمكثت تبكي وتندب حظها العاثر ، وتعلل النفس بالجهاد القريب تحت راية محمد ، وانصرف أهلها يضمدون جروحها ، ويخففون عنها ، حتى أقبل الليل ... فنامت دامية الجسد حسيرة الفؤاد ...

القاهرة

عمر الخطيب
(فن الفيحاء)

---

(١) هي الغزوة التي تلت غزوة أحد

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية في شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومي

— ١ —

منذ انتقل إلى جوار ربه الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم وأنا أشعر بحماس يدفعني إلى الكتابة عن عاطفته الدينية، فقد قرأت الكثير من روائعه المبدعة، فلمست فيها روحاً حية متوثبة، وكان للنغم الساحر الذي تردده قيثارة الشاعر روعة عجيبة، فهو يرتفع بالقارئ إلى أفق رحب فسيح ترفرف فيه أجنحة الفضيلة والعزة، ويذكره بما كان للأمة العربية في عهدها الزاهر من مجد باذخ قامت دعائمه على البسالة والكرامة فيحرك العاطفة ويوقظ الشعور ...

والحق أن دراسة محرم رحمه الله من ألزم اللوازم في عصر ماجن مستهتر، فقد عصفت برءوس بعض الشعراء في الشرق والغرب نوازع خبيثة تدفعهم إلى الفوضى الخلقية والتحلل الإباحي، زاعمين أن الشاعر الحق هو الذي ينساب وراء غرائزه وميوله، وأن العبقرية توقع صاحبها في مزالق صعبة، بل إن منهم من يتعمد الوقوع في البغي ليكون أحد هؤلاء العباقرة المتحللين!! وكم جر الاستعمار الغاشم على أبناء الشرق فضائحه وعنازيه، فزين لهم الخبيث، وبغض إليهم الحسن الجميل!.

نشأ الشاعر في بيت ريفي متدين فقد كان والده حريصاً على تثقيفه وتهذيبه، فأحضر له في دور الطفولة من قام بإرشاده وتوجيهه لحفظ القرآن ودرس النحو والعروض واللغة، وأكب على استظهار النصوص الأدبية، فتفتحت أكمام شاعريته الفذة، وبدأ يتغنى بمقطوعات بدائية تنبئ عن ملكة واستعداد، وقد اتجه بنزوع خاص إلى الثقافة الدينية فقرأ الحديث الشريف، وطالع السيرة المطهرة ودرس التاريخ الإسلامي الجيد، ثم عكف على قراءة الصحف والمجلات فألم إلماماً مفيداً بسياسة أمته ووطنه، وشاهد في ميعة صباه مايدبره المستعمرون من مكايد غائلة للعالم الإسلامي، فتأوه لمصابه الفادح، وأطلق لشاعريته العنان فتغنى بمجد الإسلام وحث على استرجاع ما فقده الشرق من عظمة شاهقة وجاه عريض.

وإذا كنا نعتبر محرماً شاعر العاطفة الدينية في عصره دون منازع فإننا نتخذ منه دليلا يبطل ما زعمه الأصمعي من أن الشعر في جملته نكد صعب لا يسهل إلا في الشر، وتلك دعوى زائفة وجدت مكانها في العقول فحولت أنظار الشعراء عن الدعوة إلى المثل العليا، والتمدح بالأخلاق الدينية الرفيعة، وأنت تطالع الدواوين الشعرية فتجد ما قيل في المجون والخلاعة أضعاف ما قيل في التصون والاحتشام وبديهي أن الشاعر المتمكن المطبوع يستطيع أن ينظم — بقوة وإتقان — في شتى الأغراض التي تأخذ بمجامع قلبه، وتسيطر على خوالج نفسه، سواء كانت تتجه إلى الخير أو الشر، فالمدار إذن على قوة الشاعر وموهبته، ومن يستطيع نظم الرقائق الفاتنة في الليل الدامس، لا يعجزه أن يرسم الصور الساحرة للصباح الوضيء، وها هو ذا محرم قد اندفع وراء عاطفته الدينية اندفاعاً حميداً، فجاء شعره نموذجاً حسناً للشعر العالي الرصين.

ونحن حين نشيد باتجاه محرم وجهة الخلق والدين، لا نعني بذلك أنه عقد في ديوانه فصولا خاصة بالدعوة الإسلامية، ولكننا نؤكد أن عاطفته الدينية قد ارتسمت بوضوح في شتى الأغراض الشعرية التي تحدث عنها الشاعر الكبير، فأنت تقرأ مدائحه ومراثيه واجتماعياته وسياسياته فتجد كل بيت ينطق بإيمان قائله، ويحدد الهدف الخلقي الذي يدعو إليه في حرارة، وإذا رزق الشاعر إيماناً فلا بد أن يرتسم في مرآة شعره، فهو إذا جال في إحدى سبحاته سيطرت عليه عاطفته المخلصة، فوجهته أكمل توجيه حتى يصل إلى المرفأ الأمين.

وكنت سألت من أثق بهم من خلطاء محرم ورفقائه عن حياته وأخلاقه فسررت بما علمت من مروءته ونبله، حيث كان يبذل ما يملك — على فاقته — في معونة المستعين، كما كان يحافظ على فرائض العبادة من صلاة وصيام. ثم هو إلى ذلك صفوح متسامح لا يؤاخذ مسيئاً بنقيصة، ولا يميل إلى الجدال والثرثرة في غير طائل. ويمكننا أن نقول إنه اتخذ كتاب الله إماماً يأتمر بأوامره،

وبعيد عن نواهيه ، وإنه ليعلن ذلك في صراحة إذ يقول :

أقول لصاحبيّ – وعاهداني –   كتاب الله بينكما وبيني
فكونا صادقين ولا تخونا   فإن لنا لإحدى الحسنيين
ولست ببائع نفسي وديني   ولو أوتيت ملك المشرقين
لهذا سلطة ولتلك أخرى   فما بالي وبال السلطتين
سأملأ هذه الغبراء عدلاً   وأترك أهلها صفر اليدين
على التاريخ بعد الموت حق   وعند الله يوم الدين ديني

وقد أباح الشاعر لنفسه أن يتمدح بمروءته وتقواه ، ولسنا نؤاخذه في ذلك فقد نشأ في عهد إباحي ، وجد فيه من يتشدقون بآثامهم الخزية ويجاهرون بمشاحنهم المدنية ، فإذا ألم بهم داع إلى الحق لووا رءوسهم ساخرين !! فلا مناص من أن يجاهر المهذب الدف بشمائله ، ليقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .

ولقد صوّر الشاعر أخلاقه ، وشرح عواطفه تشريحاً صادقاً حين قال :

من أيادي الله أني لم أخن   عهده الأوفى أروم المغنما
راودتني عصبة عن حقه   فأبى العرق الكريم المنتمى
عفة تقذف بي عن همة   تقذف النسر وترى الرزما
لا أرى الغدر وإن جشمني   صرف دهر ظالم ما جشما
مرحباً بالبؤس في أسبابه   عفة اليائس عن أن يأثما
ما وبعد الدهر من مستقبل   ما يهول الخطب إلا اقتحما

وسنوجز الحديث إيجازاً ، فنترك كلام الشاعر عن نفسه ونحيل بشيء من التحليل إلى بعض الأغراض الشعرية التي جال في حلبتها جولات موفقة . وفي رأيي أن قصائد محرم السياسية والاجتماعية والتاريخية تكفي الباحث المنصف في تكوين رأي صادق في عاطفته الإسلامية ، ونبدأ بالحديث عن سياسياته فنقول :

— ٢ —

كان للخلافة العثمانية في أواخر القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن ظل ينبسط على الدول العربية المتجاورة ، ولئن تغلغل النفوذ الاستعماري في شتى بقاع الشرق حقباً متوالية ، فقد كان أبناء هذه الدول ينظرون إلى الخليفة العثماني نظرة عالية ، فيرون طاعته فرضاً أكيداً يوحيه الإسلام وتمليه العقيدة ، ورغم ما اشتهر به عبد الحميد من العسف والجور والخروج على شرعة الإنصاف فقد لهج بمدحه كثير من الأدباء والشعراء ، إذ كانوا يصرفون النظر عن شخصه ويرون الخليفة فكرة رمزية تقيم العدل وتجدد معالم الدين ، وقد تفانى محرم – جرياً وراء عاطفته الدينية – في محبة الأتراك فنح خلفاءهم الود وهاجم أعداءهم بقذائفه الصائبة .

وأنت تقرأ مدائحه في السلطان العثماني فتجده ينظر إليه من نافذة العقيدة ، فيذكره بمركزه الديني ومقامه الإسلامي ثم يدلف إلى تقديم نصائحه التقليدية فيحث على الوحدة القومية ، وينادي بالجامعة الإسلامية ، وكان للمعارك الحربية التي خاضها الجيش العثماني صدى تردد في نفس الشاعر ، فسجل الوقائع اليونانية ، وندد بمن يهددون « الرجل المريض » بالثورات الداخلية والفتن الخارجية ، وقد اعتمد الشاعر على خياله البعيد ، فبالغ في مدح الجنود الأتراك مبالغة تدعو إلى العجب ، وكأنه أراد أن يقوي الروح المعنوية في الشعوب الإسلامية لجوف الحقائق تمويهاً يناقضه الواقع ، وهو بلا شك مشكور لغيرته وحميته ، وإلا فهل كان الجيش التركي في رمقه الأخير كما قال فيه ؟

لهم كل يوم غارة تصبح العدى   وأخرى تغشى الليل والليل فاحم
إذا نفروا لم ينفروا عن تخاذل   ولم يصحروا عن سيلها وهو عارم
بنوها الألى لا يرهبون بها الردى   إذا اهتزت في حافتيها الزمازم
إذا أقدموا لم يثنهم عن مغارم   غداة الوغى أهوالها والمآزم
مصمون فيها يخولون إذا اعتزوا   تهم قريش في الحفاظ وهاشم
أولئك أبطال الخلافة تحتمي   بأسيافهم إن داهمتها العظائم
هم المانعوها أن يقسم فيئها   وأن تستبى بيضاتها والمحارم
هم الناس لا ما تنكر العين من قذى   وتوشك أن تنشق منه الحيازم
وما الملك إلا ما أطالت وأثلت   طوال العوالي والرقاق الصوارم

ولقد ظل الشاعر على إخلاصه للدولة العثمانية ، يمجد في أعلامها ويسهب في الثناء على مواقفها ، وينذر الثوار الداخلين فيذكرهم بمسئوليتهم الفادحة أمام الله إذ يشعلون الفوضى بلا موجب ، ويوقدون الفتنة في ربوع مضطربة تعصف بها الرياح الهوج .

وكم كان الألم لاذعاً في نفس محرم حين طوى بساط الخلافة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد أفزعه اضطهاد الكماليين

رجال الفقه والتشريع ، ونقل إليه ما ارتكبوه من غلو فاحش ، حيث وأدوا العاطفة الدينية في وقت أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر . وأذكر أنه نظم في سقوط الخلافة ملحمة طويلة طبعت وحدها في كتاب مستقل ، وكان يهمني أن أستشهد ببعض أبياتها الدامعة ، لولا ضياعها من يدي . ولا أدل على حماس الشاعر للأتراك العثمانيين من قصيدته المؤثرة في رثاء والده ، فقد نسي مصابه الشخصي ، وغالبته عاطفته الدينية فترك الأنين والدموع واندفع إلى الحديث في الخلاف القائم بين العثمانيين والإنجليز ، ولك أن تقدر مدى شعور مسلم غيور ، هاجت عاطفته الدينية فأنسته ما وقع فيه من أسى قاتل ، وحزن مرير

هذا وسياسيات محرم تتسم بطابعها الإسلامي فدائحه في النزوحات وتذكير بالآداب الخلقية ، ورجوع بالأمة إلى ماضيها المجيد ؛ وقصائده في الحرب العالمية الأولى تنديد بالحضارة الغربية المتوحشة ، وتصوير صادق للمسارح الدولية التي تراق فيها الدماء وتتناثر عليها الأشلاء . هذا إلى مقارنة معتدلة بالحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر ، وكيف كانت مناراً شع على العالم بضوئه الوهاج . وحين قامت الحرب الطرابلسية الإيطالية صرخ محرم صرخات مؤرقة ، ولم يشأ أن يقصر شعره على البربرية الإيطالية المتوحشة ، فيكتفي برسم الفظائع الدامية التي ارتكبها المحتلون بالشعب الأعزل المستكين ، بل غمره شعوره الديني في طوفان جارف صخاب ، فتمثل البيت الحرام يرجف رعباً بمكة ، ويثرب ذات التبر الطهور تولول جازعة ؛ ثم استصرخ الغر الميامين من أبطال الإسلام ، فتساءل عن علي بن أبي طالب ، وتطلع إلى خيل الله يقدمها صاحب اللواء ، وتذكر ابن الخطاب في فتوحاته الشامخة وحنّ إلى القادمين من فهر ومضر وقريش . اسمعه يقول:

أين ابن عم رسول الله يطفئها ... حرباً على كبدي من نارها شرر
أين اللواء وخيل الله يرسلها ... عمرو ويقدم في آثاره عمر
أين القادمين من فهر ومن مضر ... ومن قريش وأين السادة الغرر
أين الملائك الأبرار يقدمهم ... جبريل يستبق الهيجا ويبتدر
أين الوقائع تهتز العروش لها ... رعباً وتنتفض التيجان والسرر
أين القياصر مقهورين لا صلفاً ... تأتي بجانبهم عنا ولا صعر
أيطرب البيت أم تبكي جوانبه ... حزناً ويعول فيه الركن والحجر
ويح الحجيج إذا جاءت مناسكهم ... ماذا يرى طائف منهم ومعتمر
أين الحماة وقد ضاعت محارمنا ... أين الكماة وأين القادة الغير

وهكذا كان التذكير بالماضي سلاحاً باتراً في قبضة الشاعر ، والحق أنه آتى أكله وأثمر في حينه فوثبت الأمم العربية بماضيها المجيد ، بعد أن حاول الاستعمار الغاشم أن يبرزه في صورة نكراء .

وطبيعي أن يكون ندب الماضي البهيج مقروناً بالتحسر على الحاضر الأليم؛ فالصورة الجميلة المشرقة لا تكمل لها أسباب الروعة إلا إذا قرنت بصورة دميمة بشعة ، وحالة الشعوب الإسلامية قد بلغت من الهوان مبلغاً يستدر الدموع ، فكانت الشكوى من انحطاط الشرق ميداناً فسيحاً تجول فيه الأقلام حتى ليجوز لنا أن نعتبره عنصراً هاماً من عناصر الشعر الحية في نهضتنا الحديثة . ومعلوم أن الشعور بالنقص هو الدافع الأول إلى الكمال والتقدم ، فلا مناص إذن من الاعتراف بالواقع الأليم . وكم تضرع محرم إلى ربه راجياً أن يأخذ بيد أمته إلى طريق البر ، وكم سهر الليالي الطويلة يتأمل فيما خيم عليها من غواش حالكة ؟ وكم وقف بين اليأس والأمل لا يدري أيبتسم الدهر للشرق أم تكون الأخرى فيظل الكابوس الأوربي جاثماً فوق صدور المسلمين ؟ ! عواطف مشتجرة متناحرة خلقتها الروح المتوثبة في نفس الشاعر فصيرته في حيرة من أمره إذ يقول :

تفاقم الخطب فلا رجاء ... وأخلفت الظنون فلا وثوق
تطالعنا السنون مروعات ... ونحن إلى أهلتها نتوق
يمر العهد بعد العهد شراً ... فأين الخير والعهد الأنيق
نوائب روّع التنزيل منها ... وضج القبر والبيت العتيق
بنا من حارب الحدثان ما لا ... يطيق مضاءه العضب الذليق
كأن جراحه في كل قلب ... شفاه المدية أو شدوق
رويد البوم والغربان فينا ... أما يثني النعيب ولا النعيق
وددنا للنواعب لو عمينا ... وصمت من مسامعنا الخروق
أمض قلوبنا داء دخيل ... وهمّ في جوانحنا لصيق
وجف الريق حتى ود قوم ... لو أن السم في اللهوات ريق
وورح بالترائب مستطير ... يساوره التميز والشهيق

ولولا هذه الصيحات الدوية ما استيقظ أهل الكهوف في

المغامر العظيم

عن الإنجليزية

في قُنَن الجبال ،
وعلى رءوس الأمواج ،
في منابع المياه ،
وتحت قبور الأموات ،
في غمرة الفيوض العميقة ،
التي يطأطئ « نبتون » لها الرأس ،
وفوق الصخور الوعرة الشُّم ،
لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

وحيث لا مكان للدودة تقر فيه وتسكن ،
وحيث لا فضاء للذبابة ترن فيه وتُهَوِّم ،
حيث لا يجرؤ الفراش على التَّحويم ،
خوفاً على نفسه من التلف والبوار ،
فإن الحب — إذا أقبل — مرق في سرعة ،
ولم يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد تعدُّه طفلاً إن نظرت إلى قُواه ،
أو تعده جباناً لأنه يجنح إلى الفرار ،
على أن تلك التي يُشرِّفها ،
لو اختبأت من ضوء النهار ،
وأقامت على نفسها ألفاً من الحراس ،
فلن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

تعلُّماً منه يرى البعضُ أن يسجنه ،
والبعض يحسبه — يا للمخلوق المسكين — أعمى ،
ولكن أعلنوا عليه ما شئتم ،
فإن الحب الأعمى — كما يحلو لكم أن تدعوه —
لن يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد ترضون النسر على أن يخضع لتبعاتكم ،
أو لعلكم تصرفون كاهن الشرق من دينه ،
بل ربما زحزحتم اللبؤة عن فريستها ،
ولكنكم لن تستطيعوا أن تقفوا في وجه العاشق ،
فإنه لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً .

السيد مصطفى غازي
ليسانس في الآداب من جامعة فاروق الأول

الشرق . ولن ألفت القارئ إلى ما في الأبيات السالفة من سلاسة وعذوبة فهي تنم عما يترقرق فيها من جمال فاتن ، وتشهد لقائلها المطبوع بالجودة والافتنان .

ولقد كان الشاعر دارساً لدينه دراسة مستفيضة ، ولم يجنح به هواه — وهو المسلم الغيور — إلى المغالاة والتعصب ، بل كان يضع الأمور في نصابها وضعاً صحيحاً ، فحين بذر « السير غورست » بذور الشقاق بين المسلمين والأقباط ، أدرك عزم مراميه الدنيئة ، فهب يدعو إلى التسامح الديني ويذكر النصرين المتناصرين لمبادئ الإنجيل والقرآن ، ويشيد بعظمة المسيح ومحمد ، ويرجع القهقرى إلى التاريخ المصري القديم فيصور مجد الفراعنة الزاهر ، ويستشهد بالأهرام الشاهقة ، والمعابد الماثلة ، ويعرض لما كان بين عمرو والمقوقس من عهود ، ثم يهدف إلى المطامع الأوربية وما يبته الإنجليز لمصر من شر يعصف بالعزة ويمحق الكرامة . وقديماً كان التسامح والتواد منهج القادة من المفكرين والمصلحين وبهذه الروح السامية تكشفت خبائث المحتلين واتضح الثعلب الإنجليزي الماكر فأطرق برأسه إلى الأرض حين أبصر الهلال والصليب يتعانقان في محبة وسلام .

(البقية في العدد القادم)

محمد رجب البيومي

نصير الدين الطوسي

حامى الثقافة الاسلامية وتراث العرب الفكرى إبان الغزو المغولى

للأستاذ ضياء الدخيلي

مدرسته ومكتبته فى مراغة ، جهوده المخصبة فى حقول علم الفلك فى مرصده العظيم ، شهادات كبار المستشرقين سيديو الفرنسى ، نلينو الايطالى وتليب وسارتون واسمث الأمريكيون .

ما يقوله فيه ابن العبري وابن شاكر وابن كثير ودائرة المعارف الاسلامية وابن الوردى وابن قيم الجوزية .

قال داود اسمث الأمريكى فى كتابه تاريخ الرياضيات ج ١ ص ٢٨٧ . [وفى مصر انحطاط المرفة فى بلاد الإسلام لا نجد فى القرن الثالث عشر من يستحق أن نخصه بالذكر سوى مؤلف من إيران أنفق سنوات حياته الأخيرة فى بغداد . ذلك هو نصير الدين محمد ابن محمد بن الحسن أبو جعفر وكان من سكان طوس فى خراسان وعاش من عام ١٢٠١ م حتى سنة ١٢٧٤ م وقد نبغ فى علوم مختلفة وألف فى علم المثلثات والفلك والحساب والهندسة وفى تركيب الأسطرلاب وكيفية استعماله] .

فها أنت تجد اسمث يسجل إعجابه بالطوسى وبالظاهرة التى لفتت إليه الأنظار وهى تبرزه فى علوم مختلفة وتآليفه فيها الكتب الخالدة . وقد فات اسمث علوم جليلة أخرى تفوق فيها الطوسى ومنها الفلسفة . فإن كتابه فى شرح إشارات ابن سينا من أنفس الكتب كما شهد له بذلك ذوو الفضل ، وأن دائرة المعارف الإسلامية قد اعترفت له أيضاً بأنه كان علامة فى مواضيع شتى وعلوم متباعدة الأغراض وأنه ألف فيها الروائع النفسية وقالت عنه أنه Polychronicler ومعنى هذه الكلمة صاحب التآليف والتصانيف فى مواد شتى ، وقالت إنه يرجع الفضل فى شهرته وذيوع صيته وراء الدوائر الشيعية لكتبه وتتبعاته فى العلوم الصحيحة من الطب والطبيعيات (الفيزياء) والرياضيات وعلى الأخص فى علم الفلك والهيئة حيث نال الطوسى أكبر شهرة بأعماله العظيمة فى حقل علم الفلك . وقد كان مديناً فى حصوله على وسائل تتبعاته الفلكية لشغف خانات المغول بفن التنجيم وعلى الأخص صاحبه هولاكو الذى رغبه فى بناء مرصد كبير فى مراغة جهز بأحسن الأدوات وبعضها استنبط وصنع لأول مرة وزوده بجماعة كبرى من الراصدين والمراقبين . وكان عمر الطوسى عندما ابتدأ ببناء الرصد ٦٠ عاماً وقد بقى ١٢ سنة أخرى حتى أنجز وأتم عمله فى حساب جداول جديدة للكواكب السيارة قامت على الأرصاد والمشاهدات الشاملة . وقد دون استنتاجاته فى كتابه (الزيج الايلخانى) وتتناول المقالة الأولى بحث التواريخ ، والثانية حركات السيارات ، وخصصت المقالتان الثالثة والرابعة للأرصاد التنجيمية . ومن مؤلفاته الأخرى نذكر كتاب (التذكرة الناصرية) وفيها تخطيط وعرض لجميع ما فى حقل علم الفلك وقد علق عليها العلماء المتأخرون وشرحوها عدة شروح الخ (راجع al Tusi فى دائرة المعارف الإسلامية الجزء الرابع ص ٨٩٠ من النسخة الإنجليزية) .

وقال المستشرق الفرنسى العلامة سيديو فى كتابه (تاريخ العرب العام) وكان سيديو أستاذ التاريخ فى كلية سان لويس وعضواً فى مجلس الجمعية الآسيوية وفى اللجنة المركزية للجمعية الجغرافية فى فرنسا وسكرتير كوليج دو فرانس الخ .. قال فى (ص ٤١٠) واختلط تاريخ سلاطين آل سلجوق بأخبار الحروب الصليبية منذ القرن الثانى عشر فظلت العلوم فى المشرق منحطة طيلة هذه الحروب بانحطاط لم يرفعه عنه أحد بعد .

وهذا لا يمنع أن الدراسات الجدية هجرت فقد أبصرنا خان المغول هولاكو يجمع فى بلاطه (عام ١٢٥٩ م) علماء اشتهروا بمعارفهم الرياضية والفلكية وأشهر هؤلاء العلماء هو واضع الزيج الأيلخانى نصير الدين الطوسى . وقد وجد هذا العالم فى نعم مولاه الجديد ما يشجعه فأقام مرصد مراغة وجمع بعناية ما هو منثور فى خراسان وسورية وبغداد والموصل من المخطوطات . ولم يأل جهداً فى إكمال الآلات التى يستعملها فى إرصاده .

ومما صنعه إحداث ثقب في قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها في مختلف فصول السنة وتعاقب الساعات : وهذا يعني تطبيقاً جديداً للميل ذي الثقب الذي استعان به العرب منذ القرن العاشر . ومن هذا الميل وذات الحلق الكبرى التي تشابه آلة (تيخو براهة)[1] وأرباع الدائرة المتحركة والكرات السماوية والأرضية وأنواع الاسطرلاب تتألف مجموعة آلات مهمة استعان بها نصير الدين الطوسي .

قال (سيديو) وساعد نصير الدين في أعماله مؤيد الدين العرضي وفخر الدين الخلاطي التفليسي ونجم الدين بن دبيران القزويني وفخر الدين المراغي الموصلي ومحيي الدين المغربي وغيرهم . فأنجز في (١٢) سنة من الأعمال ما يتطلب (٣٠) سنة على حسب الحسابات الأولى وعلمنا أنه اقتبس الزيج الحاكمي لابن يونس مع إدخال تعديلات مفيدة قليلة إليه فتتح دور إقبال كبير على الرصد ولخص على شاه البخاري والندام Alnaddam (٤) . (كذا في إحياء الكتب العربية — ولعل الصواب أنه النظام) ونجم الدين ابن اليهودي — الزيج الأيلخاني ، وصحح هذا الزيج غياث الدين جمشيد بن مسعود الكاشي ؛ فكان معول جميع المدارس الفلكية حتى ظهور ابن الشاطر الذي عدل في سنة ١٣٦٠ شيئاً مما ارتضاه أسلافه في النتائج .

يقول (سيديو) إذن أعاد مغول بلاد فارس إلى المدرسة العربية بعض رونقها وترى من ناحية أخرى أن (كوبلاي خان) أخا (هولا كوخان) عند ما أتم فتح الصين نقل إلى مملكة ابن السماء رسائل علماء بغداد والقاهرة .

ونقل (كوشر كينغ) في سنة ١٢٨٠ م أزياج ابن يونس من جمال الدين الفارسي فدرسها دراسة دقيقة وإن عرض (غوبيل) لآثار (كوشر كينغ) لم يكن ليكشف القناع عن أصلها . وعلى ذكر سيديو ابتكار الطوسي إحداث ثقب في قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها في مختلف الفصول وتعاقب الساعات الخ — بهذه المناسبة نذكر للقارئ الكريم ما نقله ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ في الجزء ١٣ من كتابه (البداية والنهاية) عن عظم قبة المرصد .

قال ص ٢٦٧ [إن الخواجا نصير الدين هو الذي كان قد بنى المرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء وبنى فيه قبة عظيمة وجعل فيه كتباً كثيرة جداً] .

وكان ابن العبري المتوفى سنة ١٢٨٦ م في مدينة مراغة من أعمال أذربيجان — قد انتقل إليها منذ برهة من الموصل ، روى أخوه برصوما أنه لما فشت التعديات في نواحي نينوى ألح عليه في الانتقال إلى مراغة وكان هناك [في مراغة] مكرماً من خاصة الناس وعامتهم [وإذا عرفنا أن وفاة الطوسي رحمه الله — كانت عام ١٢٧٤ م علمنا أن ابن العبري توفي بعد الطوسي بـ (١٢) سنة فهو إذن قد شاهد الحركة العلمية في مراغة] .

وقد قال ص ٥٠٠ من تاريخه [وفي عام ٦٧٥ هـ توفي الخواجا نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة : وهو حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة واجتمع إليه في الرصد جماعة من الفضلاء المهندسين وكان تحت حكمه جميع الأوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول وله تصانيف كثيرة : منطقيات والاهيات وأوقليدس ومجسطي وله كتاب أخلاق فارسي في غاية ما يكون من الحسن جمع فيه نصوص أرسطو وأفلاطون في الحكمة العملية ، وكان يقوي آراء المتقدمين ويحل شكوك المتأخرين والمؤاخذات التي أوردوا في مصنفاتهم ثم يذكر أعوانه على الرصد وقد ذكر من محيي الدين المغربي ما نقله له من كيفية خلاصه من ذبح التتار له فقال : كان محيي الدين المغربي مع الملك الناصر فلما أراد المغول أن يقتلوه وجماعته قال محيي الدين لهم : إنني رجل أعرف علم السماء والكواكب والتنجيم ولي كلام أقوله لملك الأرض (يعني هولا كو) يقول ابن العبري — قال محيي الدين

---

(١) (تيخو براهه) هو فلكي ألماني أسس مرصد (أورانيبرغ) في ألمانيا سنة ١٥٧٦ م

قال سيديو عدت الحلقة بين الآلات الكبيرة التي استعملها (تيخو براهة) أول من اكتشفوا شذوذ أعظم عرض للقمر فقد رصد العرب هذا الشذوذ قبله بستمائة سنة وعد تعيين الاختلاف الثالث للقمر أهم ما يفتخر (تيخوبراهة) وهو من حق (أبي الوفاء) أن ينتزع منه هذا الشرف

وأرسل صلاح الدين يطلب مدداً جديداً من الأسطول ، فمنى الفرنج بتدمير أسطول لقتاله ومنعه من دخول عكا ، واشتد أسطول صلاح الدين في قتال أسطول العدو ، وسار الناس على جانب البحر تقوية للأسطول وإيناساً لرجاله ، والتقى العسكران في البر والأسطول في البحر ، وجرى بينهما قتال شديد انتهى بانتصار الأسطول المصري ، وأخذ من العدو الشواني ، وقتل به ونهب جميع ما فيه ، وظفر من العدو بمركب أيضاً كان واصلاً من قسطنطينية ، ودخل الأسطول المنصور عكا ، وكان قد صحبه مراكب من الساحل فيهما ميرة وذخائر ، وطابت قلوب أهل البلد ، وانشرحت صدورهم ؛ فإن الضائقة كانت قد أخذت منهم(١) .

ولما اشتد الأمر بعكا ، وأدار الفرنج مراكبهم حولها حراسة لها من أن يدخلها مراكب المسلمين ، وقربت حاجة من فيها إلى الطعام والميرة ، ركب جماعة من المسلمين في بطسة ، وتزيوا بزي الفرنج ، حتى حلقوا لحاهم ، ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث ترى من بعد ، وعلقوا الصلبان ، واستطاعوا بهذه الحيلة دخول عكا سالمين (٢) . وفي مرة أخرى قدمت إلى المحاصرين من بمصر ثلاث بطس مشحونة بالأقوات والميرة وجميع ما يحتاج إليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء ، وقد فني الزاد ولم يبق عندهم ما يطعمون ، فلما دنت من عكا خرج إليها أسطول العدو يقاتلها ، ولكنها استطاعت أن تفلت وتصل سالمة إلى عكا ، ولتقام أهلها تلقي الأمطار بعد الجدب واستاروا ما فيها (٣) ، وحاول الفرنج وهم يحاصرون عكا حرق الأسطول المصري بها ، والاستيلاء على برج في الميناء حتى يحرسوه ، ويحولوا دون دخول المراكب بالميرة إلى المدينة ، فأعدوا بطسة ببرج ملئوها حطباً يشعلونه ناراً ويقربونه على برج الميناء لقتل ما فيه وأخذه — وبطسة ثانية ملئوها حطباً ووقوداً على أن يدفعوا بها ، حتى تدخل بين البطس الإسلامية ، فيلهبوا الوقود فيحرق البطس الإسلامية ، ويهلك ما فيها من الميرة ، وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو ، بحيث يكونون في مأمن لا يصل إليهم أذى سلاح ، فإذا أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا ، ولكنهم ما كادوا يشعلون النار ، حتى انعكس الهواء عليهم ، أما البطسة التي كانت معدة لإحراق البرج فإنها احترقت بأسرها ، وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا القليل ، وكذلك احترقت البطسة التي كانت معدة لإحراق الأسطول المصري ووثب المسلمون عليها فأخذوها . وأما ذات القبو فقد انزعج من فيها وخافوا وهموا بالرجوع ، واضطربوا اضطراباً عظيماً ، فانقلبت وهلك جميع من كان بها ، لأنهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منه (١)

وحاول الأسطول مرة أخرى دخول الميناء يحمل إليها الميرة فتحطم بعضه على صخور الميناء ، لاضطراب البحر ، واشتداد هيجانه . وكان فيه من الميرة مما لو سلم لكفي البلد سنة كاملة(٢) وكان هذا سبباً من أسباب سقوط عكا . وحاول صلاح الدين أن يرسل بطسة كبيرة مشحونة بالآلات والأسلحة والميرة والرجال والأبطال المقاتلة ، حتى تدخل البلد مراغمة للعدو ، وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا ، فأحاط بها العدو من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها ، وجرى القضاء بأن وقف الهواء فقاتلوها قتالاً عنيفاً ، وقتل من العدو عليها خلق كثير ، وأحرقوا للعدو شيئاً كبيراً فيه جند كثير هلكوا جميعاً ، ولكن العدو تكاثر على أهل البطسة ، وكان مقدمهم رجلاً شجاعاً مجرباً يقال له : يعقوب ، من اهل حلب ، فلما رأى أن الدائرة ستدور عليهم حكم هو ومن معه ألا يسلموا من هذه البطسة شيئاً . فأعملوا معاولهم فيها ففتحوها من كل جانب فامتلأت ماء وغرق جميع من فيها وما فيها ، ولم يظفر العدو منها بشيء . وتلقف العدو بعض من كان فيها ، وخلصوه من الغرق وأرسلوه إلى المدينة ليخبرهم بالواقعة (٣) .

وظل الأسطول المصري طول عهد صلاح الدين قائماً بواجبه يغير على أسطول الفرنج ، ويقتل من رجاله ، ويأسر ما شاء منهم ويستولي على مراكبه (٤) .

(١) الروضتين جـ٢ ص ٢٠٤ (٢) النوادر لابن شداد ص ١١٩
(٣) المرجع السابق ص ١٢٢

(١) المرجع السابق ص ١٢٣
(٢) النوادر لابن شداد ص ١٣٩ (٣) المرجع السابق ص١٤٨
(٤) الروضتين جـ ٢ ص ١٩٤

ولم يقف جهاد الأسطول في عهده على حرب الفرنج بالبحر الأبيض فقط ، ولكن كانت له وقفات حاسمة في البحر الأحمر أيضاً ، دافع فيها الفرنج عن الأراضي المقدسة بالحجاز ؛ ذلك أن صاحب الكرك وهو من ألد أعداء المسلمين وأشدهم نكاية فيهم ، فكر في مهاجمة المسلمين في البحر الأحمر ظناً منه أنهم غير مستعدين فيه ، وتأديباً لحامية أيلة التي كانت تغير عليه ، ولا سبيل له عليها لأنها تقيم بقلعة في وسط البحر ، فبنى سفناً ، ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل ، وجمعها في أسرع وقت ، وشحنها بالمحاربين وآلات القتال ، وسارت السفن وقد افترقت فرقتين ، أقامت إحداها على حصن أيلة يحصرونه ويمنعون أهله من ورود الماء ، فأصاب أهله شدة وضيق ، ومضت الثانية ، وهي فرقة فدائية إلى عيذاب ، وأفسد جندها في السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوا من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار ، وفاجئوا الناس على حين غفلة منهم ، فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجياً ولا محارباً(١) ، وأرادت الفرقة أن تقطع طريق الحج ، فقد كانت الغزوة في شهر شوال سنة ٥٧٨ ، وأن تمضى إلى المدينة المنورة لتنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنقل جسده الشريف إلى بلادها ، وتدفنه عندها ، ولا تمكن المسلمين من زيارته إلا بجعل(٢) ؛ وسارت الفرقة إلى بلاد الحجاز ، وجاء الخبر إلى مصر وبها الملك العادل أخو صلاح الدين ، فأمر قائد الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ أن يتتبع هؤلاء الغزاة ، فانقض على محاصرى أيلة انقضاض العقاب ، وقاتلهم فقتل بعضهم وأسر الباقى ، ومضى تواً إلى شاطئ الحجاز ، فوجدهم قد أوغلوا في طريق المدينة حتى لم يبق بينهم وبينها إلا مسافة يوم(٣) ، فمضى خلفهم على خيل أخذها من الأعراب ، وحاصرهم هناك في شعب(٤) حتى استسلموا ، فقتل أكثرهم ، وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها ، عقوبة لمن رام إخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله(٥) ، وعاد بالباقين إلى مصر ، فكان لدخولهم يوم مشهود ، وأرسل صلاح الدين

(١) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢٢١ .
(٢) خطط المقريزى ج ٣ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الروضتين ج ٢ ص ٣٥ .
(٥) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢٢٢ .

إلى أخيه العادل يأمره بقتل أسراه ، ويقول له على لسان القاضى الفاضل : وهؤلاء الأسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ... ولا بد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين . ويظهر أن العادل كان من رأيه الإبقاء عليهم فكتب إلى أخيه بما رآه ، ولكن صلاح الدين لم يغير رأيه فيهم فكتب إلى العادل يقول له : «وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم فسحة ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة ، ولا في التغاضي عنهم عند الله عذر مقبول ، ولا حكم الله في أمثالهم عند أهل العلم بمشكل ولا مجهول ، فليمض العزم في قتلهم ، ليتناهى أمثالهم من فعلهم ، وقد كانت عظيمة ما طرق الإسلام بمثلها » ؛ غير أن العادل والسياسة جزء من عناصره لا يسرع إلى قتلهم بل يراجع أخاه كرة أخرى ، فيرد عليه بالقول الفصل : قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا نذر على الأرض من الكافرين دياراً ، ولا نوردهم بعد ماء البحر إلا ناراً فأقلهم إذا بقى جنى الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم وعدت العاقبة بالأشق الأصعب(١) ، فلم يبق بعد ذلك مجال للمراجعة وقتل الأسرى ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة(٢) .

هذا وكان للأسطول المصرى في البحر الأحمر الفضل في فتح بلاد اليمن على يد توران شاه أخى صلاح الدين فهو الذى حمل الأزواد والعدد والآلات إلى تلك الديار(٣) .

ورأينا الأسطول المصرى في عهد العادل يظفر بالفرنج سنة ٥٩٣ ويعود إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً بذل أحدهم في فدائه ثمانين ألف دينار(٤) ، ويعود من الغزو في السنة التالية حاملا معه أربعمائة وخمسين أسيراً(٥) .

وكان للأسطول المصرى أثر حاسم في معركة المنصورة الأولى في عهد الكامل سنة ٦١٧ ، وكان عدد شوانى المسلمين مائة

(١) الروضتين ج ٢ ص ٣٦ .
(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ١٣٩ .
(٣) الروضتين ج ١ ص ٢١٧ .
(٤) ذيل الروضتين ص ١١
(٥) المرجع السابق ص ١٣

بأن تكون فى ميدانه ، تسوق الظامئين من كؤوس خمرتك الفكرية المعتقة فى دنان الإلهام !

أجل يا صديقى ، إن مكانك هنا وليس هناك ... إنك صاحب القطرات ولست شيئاً آخر ، وإن فجرك الذى يشع بأضواء النبوغ ليهدى السالكين إلى فجاج الحق والخير والجمال .

بقى أن أقول لك إن راجى الراعى القاضى لم ينصف راجى الراعى الأديب ، وإن ميزان عدلك قد ظلم ميزان فنك : قطراتك أنت تفتش عن كؤوسها ؟ كلا يا صديقى ، إن كؤوسنا نحن هى التى تفتش عن قطراتك ! مواليد خيالك الخلاق تتنكر لها الحياة ؟ إنك لتظلم الحياة فى جوهرها العميق ... إن الحياة لا يمكن أن تبخل على الموهوبين من أمثالك بالذكر الجميل ! أما الذين يبخلون فهم البلهاء الذين حرمهم الله نعمة الذوق والفكر والشعور ، وأظنك توافقنى على أن هـذا القطيع من الآدميين لا يستطيع أن يغير شيئاً من وجه الحقيقة ، ولا أن يقيم الميزان لأقدار الناس ، ولا أن يحول بين فيض الإبداع وبين التدفق فى أودية الروح ومسارب العاطفة !

عليك إذن أن تكتب لهؤلاء الذين تلذ لهم الموجة الفكرية الوضاءة التى تحمل شيئاً جديداً . . وثق أنك إذا سقيت فستظل فى الكرمة تسق ولن تفرغ الدنان : إن كرمتك يا صديقى لتمد جذورها إلى أرض العبقرية بأسباب ، أما دنانك فأنا أبشرك منذ اليوم بكثرة الظامئين التلهفين إلى أن يشربوا نخب أدبك العالى وفنك الرفيع !

أخلص الشكر على هديتك الكريمتين ... وإلى اللقاء فى رسائل خاصة ، تنقل إليك وإلىّ ومضات من الفكر ودفقات من الوجدان .

توفيق الحكيم والفن الإنسانى :

منذ أيام دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعارف ، وكان المتحدث هو الأستاذ توفيق الحكيم ... لقد تفضل الأستاذ الصديق فاتصل بى ليقول إن كلمات كتبتها عن « شهداء المثل العليا » قد تركت أثرها فى نفسه وصداها فى قلبه ، وكم يود أن يستمع لكثير من هذه النبضات الإنسانية فيما أكتب من تعقيبات ! وقلت للصديق الكريم رداً على جميل تقديره : يبدو أن بين فكرينا شيئاً من توارد الخواطر ، وأن بين قلبينا شيئاً من توارد الخفوق ... لقد كنت على وشك الاتصال بك لأقول لك أيضاً إنى أود أن تخرج لنا روائع أخرى يبلغ فيها الفن الإنسانى ذروته كما بلغها فى « سليمان الحكيم » ! ثم تشعب الحديث من الفن الإنسانى إلى غيره مما عرضنا له من فنون .

والحق أنى لم أكن قد قرأت بعد هذه المسرحية الرائعة حتى تفضل الأستاذ الحكيم فأهداها إلىّ فى طبعتها الثانية التى ظهرت منذ قريب ... ولقد خرجت بعد قراءتها بحقيقة ملموسة ، تفجرت على ضوئها نظرتى إلى معدن الإنسانية فى قلب هذا الفنان . إن من يقرأ « سليمان الحكيم » يلمس أن صاحبها يملك قلباً يهتز اهتزازاً عميقاً أمام جيشان العاطفة ! ولكن أين كانت كل تلك النبضات الشعورية والحركات النفسية ، ولم لم تفرض نفسها على بقية إنتاجه بمثل هذا التدفق الذى عطر كل صفحة من صفحات « سليمان الحكيم » ؟!

هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكرى فى كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات النفسية وهو فى ذلك يخضع للجو الذى تسيطر عليه نفسيات أبطاله ، هناك حيث نجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة ، ومن هنا تختفى الومضات الوجدانية فى تيه من التأملات الذهنية ، ولكنه فى « سليمان الحكيم » شىء آخر ... إن جو المسرحية كان جواً عاطفياً خالصاً هيأ للشعور الإنسانى أن يظهر على حقيقته ، حين تراجع الفكر المجرد متخلياً عن مكانه للروح الرفرفة والقلب الخفاق !

هذا أمر سأعرض له بالتفصيل عند الحديث عن مسرحية « الملك أوديب » فى الأيام المقبلة ... كل ما أرمى إليه من وراء هذه الكلمة هو أن أقرر إنسانية الفن فى شخصية توفيق الحكيم الأدبية ؛ وتلك ناحية كان يخالجنى فيها الشك قبل أن أقرأ « سليمان الحكيم » وقبل أن أستمع لرأى صاحبها فى « شهداء المثل العليا » !

محنة قلبية وأخرى قلمية :

تحت هذا العنوان تحدثت فى عدد مضى من « الرسالة » عما تعانيه الحياة الأدبية فى هذه الأيام من محنة فى الكتاب وأزمة فى النقاد ، حتى ليتعذر على الناقد أن يتسع وقته لقراءة هذا العدد الضخم من الآثار الأدبية والكتابة عنها ! ثم قلت فى ثنايا كلمتى

إني لن أكتب من أي أثر أدبي يهدى إلى إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء ، وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الشرط أن أقدم إلى صاحبه تحية قلبية ... أما الكتاب الذي يضيف إلى رصيد القارىء ثروة فكرية جديدة فهو جدير بتحية أخرى قلمية !

قلت هذا فكتب إلىّ بعض القراء عاتبين ومعترضين : إن النقد كما يقولون لم يخلق ليقصر على التنويه بالكتب القيمة والآثار النافعة لأن أصحاب هذه الكتب قد بلغوا من الشهرة والنضج وإقبال القراء ما يجعلهم فى غير حاجة إلى التعريف بكتبهم والتحدث عن جهودهم ، وحسبهم أن مكانتهم الأدبية قد بلغت من الصمود والمنعة ما يحول بينها وبين الاهتزاز أمام عواصف النقد وأعاصيره ! أما صغار الكتاب فما أحوجهم إلى العطف والتشجيع ، والتوجيه الذي يسدد خطاهم وينمي ملكاتهم ، ويغذي فى نفوسهم نزعة التشوف إلى بلوغ الكمال . فالإعراض عن كتبهم أمر يثبط العزائم ويجنى على المواهب ويبعث على الخمول ... ورب شجيرة صغيرة تتعهد بالسقيا وتُخص بالرعاية ، تنمو وتشتد أعوادها وتخرج للناس كل شهى من الثمر وكل مرجو من الفائدة !

إن ردى على هؤلاء العاتبين والمعترضين هو أننى حين عرضت لهذه المشكلة لم أقصر إغفال الكتابة على أديب صغير دون أديب كبير ، ولكننى قصرته على كل كتاب يضيع معه الوقت سواء أكان صاحبه يكتب منذ ربع قرن أم كان يكتب منذ ربع شهر ! أما قولهم بأن صغار الكتاب أحوج إلى التحدث عن آثارهم من كبار الكتاب ؛ لأن هؤلاء الكبار تحميهم مكانتهم الأدبية من زلزلة النقد وهزات الناقدين فلا أوافقهم عليه . إن مقالا واحداً يتسم بالفهم والعمق والأصالة جدير بأن يزلزل سمعة كبر أديب من أصحاب المكانة المرموقة ، وجدير بأن يبقى كتبه فى رفوف المكتبات لا تمتد إليها أيد ولا ترنو عيون ! ولقد أصبحنا اليوم نجتاز مرحلة فكرية بلغت الأوج وأوفت على الغاية ؛ مرحلة ليس فيها أديب كبير ولا أديب صغير إلا فى حساب الموازين الناضجة التى تفرق بين المواهب والثقافات ، على ضوء الأعماق وحدها لا على ضوء الأهواء والنايات ! ومع ذلك فلا بأس من الكتابة عن كتب كنت خصصتها بتحية القلب دون تحية القلم ، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب !.

رسالة ماجستير فى كلية الآداب :

كان ذلك فى الأسبوع الماضى إذا لم تخنى الذاكرة ، حين توجهت إلى كلية الآداب وحملت نفسى ما لا تطيق واستمعت لمناقشة رسالة عن « العماد الأصفهانى » ... أنا لا أظلم الطالب الذى فاز بالماجستير فى الآداب من درجة جيد ، فكم من طلاب فازوا قبله بالدكتوراة من درجة جيد جداً وممتاز ؛ فهذه رسالة عن « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » حظى صاحبها بمرتبة الشرف الأولى واستحق شكر الجامعة ، ومع ذلك فقد طبعها لينتفع بها الناس فبقيت لتأنس بها رفوف المكتبات ! وتلك رسالة أخرى فى الفلسفة عن « الزمان الوجودى » حظى صاحبها أيضاً بمرتبة الشرف الأولى مع لقب أول فيلسوف مصرى ، ومع ذلك فقد طبعها ليرفع بها رأس الفلسفة الوجودية فى الشرق فلم يبق لها وجود ... وكم من رسائل أخرى لقيت مثل هذا التقدير وانتهى بها الأمر إلى نفس المصير ...

نخرج من هذا كله بأن لكلية الآداب نظرتها إلى قيم الرسائل العلمية ، وأن للرأى العام الفنى نظرته . والفرق بين النظرتين هو الفرق بين القدرة على جمع النصوص من بطون الكتب وترتيبها وتبويبها وإخراجها فى رسالة ، وبين القدرة على الغوص فى أعماق تلك النصوص ومواجهتها وتمحيصها وإخراجها فى نظرية أو مذهب ! إن خمسين صفحة تحفل بومضات الذهن الخلاق خير ألف مرة من مئات الصفحات التى لا تزخر بغير الترديد والتقليد ولكن من يسمع ؟!

لحظات مع ايليا أبى ماضى :

شىء فى شعر المهجر يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة ... ذلك هو صلة الفن بالحياة ! الحياة فى شعر المهجر تنفس عميق ، وهمس رقيق ، ونبع شعور متدفق ، ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له منذ أسابيع فى دمشق من خير ما قرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية !

عنوان القصيدة « عجباً لقومى » . ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشآم مهنـــداً وكتابا والغوطة الخضراء والمحرابا
ليست قباباً ما رأيت وإنما عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصو راً لقد سكنت حصى وترابا

وإلى العدد المقبل حيث يتشعب فيها الحديث .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قصة أوديب في الآداب المختلفة:

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة عنوانها « قصة أوديب في الآداب المختلفة » بنادي الخريجين المصري يوم الجمعة الماضي. فبدأ بتلخيص قصة أوديب كما وضعها سوفوكل في أوائل القرن الخامس قبل المسيح، وحوادث القصة — كما هو معروف — تدور حول أوديب ابن الملك لايوس ملك طيبة، وصراعه مع الأقدار التي قضت بأن ينشأ بعيداً عن والديه، ثم تسوقه إلى حيث يقتل أباه وهو لا يعلم بأنه أبوه، ثم يتزوج أمه وهو لا يعلم أنها أمه، ويولد له منها أربعة أولاد، ثم يعلم أن أولاده هم إخوته لأمه ... الخ

ثم قال الدكتور طه: إن سوفوكل صور في هذه القصة الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة، وبين ذلك في مواقف القصة المختلفة. وقال إن الأسطورة كتبها كثيرون في القديم وفي الحديث، حتى لم تخل منها لغة من اللغات الحية في العالم الغربي، وقد أتيح للعربية أن تشارك في هذه الجهود، فترجمت (الدكتور طه) إليها قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد. وجاء أخيراً الأستاذ توفيق الحكيم فكتبها بالعربية. وأنا سأقصر الحديث على قصتين هما قصة جان كوكتو وقصة أندريه جيد، وقد وضعتا في وقت واحد تقريباً حوالى سنة ١٩٣٠.

ثم حلل قصة جان كوكتو وقال إنه جنح فيها إلى الفن ولم يعن بالفكرة الفلسفية، فقد صور جوكاستا (أم أوديب) امرأة مرحة ماجنة تعشق الكاهن ترسياس وتتغزل فيه، وقد أهمل جان كوكتو الفكرة الفلسفية القديمة في القصة واتجه نحو فلسفة فرويد فيما يكون من الأحاسيس الخفية بين الأمهات والأبناء.

وانتقل الدكتور بعد ذلك إلى قصة أندريه جيد فقال إنه أمضى القصة كما أمضاها سوفوكل ولكنه جعل أولاد أوديب من شباب العصر الحديث يندفعون إلى التجديد في كل شيء، وجعل الصراع بين الدين ممثلا في الكاهن ترسياس وبين أوديب الملك الذي لا يؤمن إلا بنفسه وعقله وشعوره ووجدانه.

ثم قال إنه يفضل قصة أندريه على قصة جان جوكتو، ويفضل على الاثنتين قصة سوفوكل.

وبعد ذلك وصل الدكتور طه إلى الأستاذ توفيق الحكيم فقال إنه يسره أن يحاول الأستاذ توفيق هذه المحاولة، ولكنه لم يتخذ لها ما كان ينبغي أن يتخذه من عدة، وأول ما كان ينبغي أن يتخذه من عدة أن يقرأ وأن يقرأ كثيراً، على رغم ما يحدثنا به من أنه قبل أن يكتب القصة قرأ في الأدب اليوناني كثيراً، فأنا أرى أن هذه القراءة متواضعة ومتواضعة جداً ... ثم ذكر الدكتور بعض المآخذ في قصة الحكيم، منها أنه جعل أوديب يقتل الأسد بهراوة في يده ثم يحمله على ظهره ويلقيه في البحر، ولو فرضنا أنه من الممكن أن يقتل الرجل الأسد بهراوة ويحمله على ظهره فأي بحر هذا الذي ألقاه فيه؟ إن الإنسان يسير بين طيبة وبين البحر يوماً كاملا دون أن يحمل أسداً على ظهره. أكبر الظن أن توفيق الحكيم لم ير الخريطة، ولعله قد اشتبهت عليه قرية صغيرة قريبة من البحر اسمها طيبة وهي غير طيبة التي وقعت فيها أحداث القصة.

ومن تلك المآخذ مأخذ قال إنه أفسد القصة من الناحية الفنية إفساداً ليس بعده إفساد، ذلك أنه صور ترسياس في صورة النامس الذي ينزل إلى ما يجري عليه الناس من أنواع الدسائس والشرور، ثم مأخذ قال إنه أفسد الناحية الفلسفية بأن جعل أوديب يطلب إلى زوجته وأمه جوكاستا أن تصرف النظر عما حدث، ليعيشا مع أولادهما مكتفين بالنفي من طيبة، وهذا لا يتفق مع غاية القصة من الشعور بالإثم، ومن حسن الحظ أن جوكاستا ماتت ولم تقبل ذلك.

ثم قال إن توفيق الحكيم لم ينس أنه كان عضواً في النيابة العمومية، فقد خلط الحوادث خلطاً عجيباً عند ما حكم على الكاهن وترسياس بأن يختارا بين الموت والنفي ثم وقفهما أمام الشعب ليحاكمها.

وخرج الدكتور طه من الكلام على قصة توفيق الحكيم بأنها جمعت بين تصور جان كوكتو في الناحية الفلسفية وبين تصور أندريه جيد في الناحية الفنية .

ثم تحدث الدكتور عن المقدمة التي كتبها الأستاذ توفيق الحكيم لقصته فقال إن أقل ما يقال فيها إنها كانت تحتاج إلى عناية ، فقد كتب صفحات في الجواب عن هذا السؤال : لماذا لم ينقل العرب التمثيلية اليونانية ؟ وذكر أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — وأنا لا أعرف أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — فلماذا لم يعد من هناك بشيء من هذا الفن ؟ وراح الأستاذ توفيق يسهب في ذكر أسباب وفروض كثيرة ، وما كان أغناه عن هذا كله لو علم أن العرب لم ينقلوا التمثيل عن اليونان لسبب واحد بسيط ، هو أن اليونان لم يكن عندهم تمثيل في عهد العرب لأن المسيحية كانت قد قضت عليه ، ولو ذهب امرؤ القيس إلى هناك لما وجد تمثيلا . . .

ثم ختم المحاضرة بقوله : وأنا على كل حال أهنئ الأستاذ توفيق الحكيم بهذا الجهد ، وأقول إننا يجب أن نبدأ ولو غلطنا لننتهي مصيبين .

كشكول الأسبوع

□ وافق المجمع اللغوي على ما رأته لجنة الأدب من التنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمي تقديراً لمنزلته الشعرية الرفيعة ، واتفاق المبلغ المرصد للمباريات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ٤٩ في إحياء كتابين هما « سر صناعة الإعراب » لابن جني ، و« أنيس الجليس » لزكريا بن المعافى . وذلك بعد أن رأت أن ما قدم لهذه المباريات من القصص والشعر والبحوث لم تتوافر فيه درجة الامتياز التي تسوغ لها أن توصي بمنحه الجائزة .

□ يطبع الآن السجل الثقافي لسنة ١٩٤٨ الذي تصدره وزارة المعارف ، ومما يتضمنه إحصاء شامل لما ألقي من المحاضرات العامة في السنة الماضية ، وفي جملتها محاضرة ألقتها « الست أم عبده الاسكندرانية » .

□ نشرت « البلاغ » يوم السبت الماضي صورة فتيات ناعمات ناميات في وضع راقص ، كتب تحتها « جمعية الشابات المسلمين تقيم حفلة خيرية راقصة » ألا ترى أن عدم التطابق بين الصفة (المسلمين) والموصوف (الشابات) ليس فقط من حيث اللغة بل كذلك من حيث العمل !

□ سمعت كلمة نابية في مساء يوم من الأسبوع الماضي ، وقد ظهر أنها تسربت إلى (الميكرفون) من حوار — خارج البرنامج — لمشادة وقعت بين موظفين في الإذاعة ، وقد اهتم أولو الشأن بذلك وصدر أمر بوقف المذيع عن عمله .

□ كان في برنامج الإذاعة يوم السبت الماضي تمثيلية « بيت يتهدم » شغلت نصف ساعة كله عويل وبكاء ، حتى خيل للمستمعين أنها « إذاعة خارجية من مأتم نساء » .

□ قال الأستاذ التابعي في دفاعه عن مطالب أم كلثوم من الإذاعة : « ومرجريت ترومان تتناول عشرة آلاف دولار في الأسبوع مقابل غنائها كل مساء ساعة واحدة في أحد مطاعم نيويورك » وأقول : إن الذي يعطي الأجر الكبير للمغنية « هو مطعم يستجلب (الزبائن) بغنائها ، وليست الدولة هي التي تدفع لها ، ومسألة « الإذاعة وأم كلثوم » تختلف عن ذلك ، فهي تتعلق بأموال الدولة .

□ أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية من كتابه « حافظ وشوقي » الذي ظهرت طبعته الأولى في العام الماضي ، وهو دراسة مقارنة للشاعرين .

□ ظهر أخيراً كتاب « أدب مصر الحديث » للأستاذ مصطفى زيد وقد عرض فيه الأدب الحديث على منهج مدرسي ، وبذل به جهداً ظاهراً في التحليل والنقد وربط الإنتاج ببواعثه .

□ وافقت اللجنة التنفيذية لشؤون السودان بوزارة المعارف على إهداء كتب إلى نوادي السودان . وقد أرسلت في هذا الأسبوع ألفا كتاب من أحدث الكتب إلى مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم لتتولى توزيعها على الأندية والهيئات الثقافية هناك .

تعقيب :

أما وقد تعرض الدكتور طه حسين بالنقد لكتاب « أوديب الملك » للأستاذ توفيق الحكيم ، فقد كان قسطاس النقد المستقيم يقتضيه أن يشير إلى مواطن الإجادة فيه ، ولا يقصر النقد على مواضع المؤاخذة ثم على الثناء والتهنئة الساخرين . . . وأنا لم أقرأ بعد هذا الكتاب ، ولكني لا أتصوره خالياً من شيء يستحق أن يوضع في كفة الحسنات ، فتوفيق الحكيم كاتب معروف بجودة الإنتاج القصصي على العموم مهما كان في هذا الإنتاج من مآخذ ، ويعرف قراء العربية حسن رأي الدكتور طه في بعض ما كتب الحكيم ، فهل هو الآن يستوفي النقد بذكر المآخذ في « أوديب الملك » بعد أن فرغ فيما مضى من الإشادة بما أحسن توفيق الحكيم في « أهل الكهف » ؟! وهل لي أن أقول إن الدكتور طه حسين لا يقتصد في التقريظ إذا قرظ ولا يقتصد في الثلب إذا ثلب ؟ .

البعثة المصرية بالسودان :

زار السودان منذ أسابيع الدكتور عبد السلام الكرداني بك الوكيل المساعد لوزارة المعارف ، واتصل هناك

بالمشرفين على التعليم فى حكومة السودان ، وبطبيعة الحال كانت المسائل التعليمية والثقافية هى موضوع الاتصالات ؛ وقد استرعى التفاتى من أنباء هذه الرحلة أمران ، الأول رد الكردانى بك على جريدة « النيل » السودانية وكانت قد تناولت مسألة توحيد التعليم فى السودان التى أثارتها الحكومة السودانية فى وجه مشروع التوسع فى التعليم المصرى بالسودان — قال الدكتور الكردانى : « إننى ممن يرون الخير فى تعدد أنواع التعليم والثقافات وأعتقد أننا فى مصر قد كسبنا من وجود مدارس ذات مناهج مختلفة » ثم قال : « إن هناك من يقولون فى الوقت الحاضر بضرورة توحيد الثقافات عند الأمم المتكتلة بتوجيه ثقافاتها وبرامج دراستها وجهة واحدة ، وكذلك ترى الجامعة العربية فيما يختص بالأقطار العربية المشتركة فيها وقد اتخذت خطوات فعلية فى هذا الاتجاه . فهلا ترون أن من مصلحة السودان العزيز وأهله الأعزاء أن يكون لديهم فى بلادهم فريق من أبنائه يسيرون فى دراستهم وفق النهج الذى يسير عليه أشقاؤه فى مصر الشقيقة الكبرى وأبناء عمومتهم فى بقية البلاد العربية المتحدة المتضامنة سعياً وراء خيرها ورفعتها جميعاً ؟ » .

وهذه لفتة بارعة من الدكتور الكردانى ، وإن كان قد صاغها فى قالب من التحفظ ، فالسودان باتفاق جميع السودانيين جزء من البلاد العربية التى تتجه إلى توحيد غاياتها الثقافية والتقريب بين برامجها الدراسية ، وتتخذ خطوات مصر وجهودها فى ذلك المضمار محوراً ومثلا لها ، فكل جهد يبذل فى الوقوف أمام انتشار التعليم المصرى بالسودان ليس ضاراً فقط بوحدة الوادى ، وإنما هو يمتد إلى مكان السودان من العروبة ونصيبه من قيمها الثقافية .

أما الأمر الثانى الذى لاحظته فى هذه الزيارة ، فهو أن الكردانى بك أدى مهمته باعتباره رجل تعليم وثقافة على خير ما تؤدى ، وكان عند ما يجمل به أن يكون ، لق الجميع وأحسن التفاهم مع الجميع ، فاحتفى به الجميع ، حتى امتدحت جريدة « النيل » وهى لسان الانفصاليين مسلكه فى المناقشة ورحابة أفقه . والذى يهمنى من كل ذلك أن أضربه مثلا لرجال التعليم المصرى ورسل الثقافة إلى جنوب الوادى ، ولو أن كل من جئنا بهم إلى هناك لهذه الغاية كانوا كذلك ، ولم يقحموا أنفسهم فيما ليس من شأنهم ، لتجنبنا كثيراً من الأشواك ، ولما اضطرت حكومتنا إلى ما اضطرت إليه من الحرج فيما يتعلق ببعض مناصب التعليم بالسودان .

عزيزتى السيدة ملك :

أكتب لك هذا بمناسبة استئنافك العمل فى مسرحك ، بتمثيلية كليوباترا لشوقى بك ، فأهنئك أولا بهذا الافتتاح وأزجى لك أطيب التمنيات ، ثم أتوكل على الله وأفضى إليك بغاية القصد والمراد ... راجيا أن تتقبلى ما أفضى به تقبلا حسناً وألا يتكدر منه خاطرك .

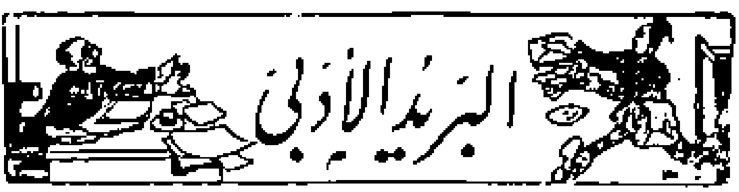
ذلك يا سيدتى أن صوتك جميل جداً ولكنك تجنين على جماله بتشبثك أن تلحنى لنفسك ، ولا أقول فقط إنك لا توفقين فى التلحين ، وإنما يخيل إلى حينما أسمعك أنك تغنين غناء فطريا ، وإن سامعك ليأسف على ضياع تلك الآهات والنبرات الحارة الشجية المنبعثة من قلب يشعر ، فى الهباء ، تذروها فوضى التنغيم .

ولا شك لى أن عدم توفيقك فى التلحين لا ينقص شيئاً من قيمة مواهبك الأخرى ، فأنت ممثلة مسرح ذات ذخيرة فياضة من حنان الأنوثة ، ومغنية مسرح ممتازة من الطراز الأول ؛ وأعتقد أن صوتك يكون شيئاً آخر لو أسلمت قياده للحن مقتدر ، ونحن فى عصر الاختصاص ، فمن أراد أن يكون كل شىء فلن يكون شيئاً .

والمهم بعد هو أن الميدان الفنى عندنا تنقصه الآن المسرحية الغنائية ، مع أن الجمهور المصرى يعشق هذا اللون من الفن . وأنت الآن — ولا أرى غيرك فى هذه الظروف — التى تستطيع أن تحيى المسرح الغنائى بتقديم روائع التمثيليات من الأدب الرفيع ، كما يدل على ذلك اختيارك لإحدى مسرحيات أمير الشعراء فى افتتاح موسمك الحالى .

فالتلحين ، يا ست ملك ، التلحين ... ولا شىء ينقصك غير التلحين ، فلا تكابرى وكونى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه . ولك تحياتى واحترامى .

عباس خضر



الفلوجة أو الفالوجة وأو الفالوجا :

أصبحت هذه البلدة العزيزة عنواناً مشيناً من عناوين المجد في تاريخنا الحربي الحـديث ، فينبغي أن ننطق بها ونكتبها على الوجه الصحيح . والعرب كانوا وما زالوا ينطقون بالفلوجـة مفتوحة الفاء مشددة اللام مختومة بالتاء ، ويجمعونها على فلاليج ، ويريدون بها الأرض المصلحة للزرع . ثم أطلقوها على كل قرية بسواد العراق كما يجوز لنا اليوم أن نطلقها على كل قرية أو اقطاعية بالأرض التي تصلحها الحكومة في كفر سـعد أو في غيره . ثم صارت الفلوجة علماً على هذه القرية بفلسطين وعلى قرية أخرى بالعراق على الطريق ما بين الرمادي وبغداد . وقد كان المرحوم الرصافي يهاجر إليها كلما نبا به العيش في دار السلام . والعراقيون ينطقون بها على الضبط الوارد في كتب اللغة .

التقريب بين اللغتين :

كتب الشيخ محمود أحمد الغمراوي كلمة طامنت من أسلوب الرسالة الرفيع المتزن ، فقد رمى الدعوى رمية عشواء وقوّلنا غير قولنا ! ونحن ندعوه أن يعاود قراءة كلمتنا ثم يرجع البصر ، ويفيء البصيرة ، فيرى أننا لا نُحل الدخيلة محل الفصحى ، بل دعونا دعوة « مخلصة » إلى وجوب المحافظة على اللغة ببقاء قواعدها ، وإليه مقولنا :

« ونحن إذا تجوزنا في القاعدة ، وقلنا : لا عنت في جواز جعل فاعلين لفعل واحد كما في شأن « أكلوني البراغيث » لشاعت القاعدة وجرت على الألسنة ، فتضيع اللغة في أوضاع تقيدها » .

وإن كل ذي بصر يرى مدى تحفظنا في إيراد السياق . فقد « تجوزنا » ولم نسق الحقيقة ، وقلنا : إن إشاعة « الدخيلة » تجني على اللغة ! فمن أين أتى الشيخ بدعوتنا إلى هدم العربية ؟

إن لغة القرآن تسمو على التقييد ، لأنها أبلغ استدلال عليه ، ومقتضى هـذا هو الارتفاع به من التأويل المفضي إلى الفصاحة كرهه وإبهامه . فنحن نعني بالتأويل في الآية الدنو من « القاعدة » بحسب الظاهر لدفع ما قد يوهم ؛ لكن الشيخ يريد ما لا يريده المنطق ثم يردنا عليه !

إن المفسرين — لا الزمخشري وحده — يسيرون في التأويل على وفاق اتساق السياق ولم يجنحوا — كما قال — إلى الإعراب متقصدين التذرع به لإيضاح وحدة المعنى .

بل اتجهوا إلى النحوي ثم رغبوا في التأويل ليزداد الوضوح ؛ فالإعراب ليس مقصوداً لذاته ، لأنه فرع المعنى !.

وليعلم الشيخ أن لغة طيء وأزد شنوءة موافقة الفعل لمرفوعه . قال عمرو ابن ملقط :

أُلفيتا عيناك عند القفا أوْلَى فأوْلَى لكَ ذا واقِيَهْ

وقد ذكر التوضيح أن هـذه اللغة لا تمتنع مع المفردين أو المفردات المتعاطفة بدليل قول عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير .

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم

وعدم المنع يبين صحة جعل ما يتصل بالفعل ضمائر في « لغتهم » .

أما إدعاء الشيخ « محمود الغمراوي » أننا نحل الألفاظ الدخيلة محل الفصحى فردنا عليه في قولنا :

« وعندنا أن التقريب قد يكون في إشاعة الألفاظ المتقاربة في « الدلالة » مثل إمتى ؟ في — متى — ومين ؟ في — مَنْ — — وفين — في — أين — .

هذا ما يمكن بحثه في مقام « دراسته » أما القواعد الأصيلة فيجب أن تبقى محافظة على اللغة » .

هذا ما أثبتناه وفحواه ما يأتي :

أولا : أننا جعلنا « دلالة » الألفاظ مسوّغة لتقاربها ولم نؤيد استعمال الدخيلة .

ثانياً : أننا جوزنا هـذا التسامح في « دراسة » أدوات الاستفهام للأبناء .

ثالثاً : أننا أوجبنا بقاء القواعد سليمة محافظة على اللغة .

أحمد عبد اللطيف بدر

المدرس ببورسعيد — ومن العلماء

حافظ وشوقي:

طلبت مجلة المقتطف من الأستاذ الشاعر الأديب حسن كامل الصيرفي أن يكتب لها مقالة عن حافظ وشوقي بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على وفاتهما، فكتب لها دراسة مطولة عن الشاعرين جاوز بها حد المقالة، وجعلها كتاباً يقع في أربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط، وقد طبعته مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م

والأستاذ حسن كامل الصيرفي شاعر وأديب، والشعر عنده رسالة يجب أن يؤديها في كل عصر، فهو ينظر إلى حافظ وشوقي على أنهما شاعران عاشا يتردد اسماهما معازمنا، وتعترض حياتهما عواصف تنافس أحياناً، وتمر بهما نسمات صفاء أحياناً أخر، ولكنهما كانا يشعران أنهما يتعاونان على أداء رسالة واحدة وجهتهما إلى طريقها عوامل الشعر، وطبيعة العصر، وقد ماتا معاً في سنة واحدة، كأنهما شعرا أنهما أديا رسالتهما في الشعر، ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض وحده بعبء تلك الرسالة، بعد هذا الجهاد الطويل في تأديتها.

وعلى هذا الأساس تقوم تلك الدراسة الفنية لشعر حافظ وشوقي، وتقوم الموازنة بين شعر كل منهما. وقد وجد الأستاذ حسن كامل الصيرفي من ذوقه — وهو ذوق شاعر أديب — ما ساعده على بلوغ الكمال في هذه الدراسة، وإني أهنئه عليها تهنئة صادقة.

عبد الشافي العصيري

تصحيح مردود:

في البريد الأدبي للرسالة الغراء عدد (٨١١) اطلعت على كلمة للأديب الفاضل محمد الشاذلي حسن يخطىء فيها استعمال لفظة « ماتع » صفة للشيء المستحسن الجميل، ويستشهد لذلك ببيت الجنون الوارد في أغاني الأصفهاني:

أثرن بأن حبوا الجمال فقد بدا ... من الصيف يوم لافح الحر ماتع

ويذكر أن الشراح ذكروا أن « الماتع هو الطويل ».

وأقول: كون « الماتع » بمعنى الطويل لا يمنع كونه بمعنى الجيد بل البالغ في الجودة؛ ففي اللسان — أعني لسان العرب — (متع الرجل ومتع جاد وظرف وقيل كل ما جاد فقد متع وهو ماتع والماتع من كل شيء البالغ في الجودة الغاية في بابه).

خذه فقد أعطيته جيــداً ... قد أحكمت صنعته ماتعا

وبعد: فلو لم يكن مرجعنا (اللسان) لطال حبل الكلام في مقام الاستشهاد والإيراد، وخير الكلام — كما قيل — ما قل ودل، وأرجو أن يكون في هذا القليل الدليل، والسلام.

الزيتون هرناني

أحـــكام اللجنــــة

عن نتيجة المسابقة الثقافية

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسي:

تقدم للجنة إحدى عشرة تمثيلية رأت اللجنة منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها لتمثيليتي « عروس النيل » و« الساعة ١٢ » مما لمؤلفهما عزت السيد ابراهيم، وكذلك الجائزة الثانية وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « مؤامرة صغيرة » لمؤلفها حسين محمد القباني.

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية:

تقدم للجنة عشر تمثيليات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « أفراح أشخاص » لمؤلفها فريد عين شوكه. والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « أرض الآباء » لمؤلفتها صوفي عبد الله. والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « الأم » لفتحية حسن.

٣ — المسرحيات العامة:

تقدم للجنة ثماني مسرحيات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « ساحر بابل » لمؤلفها عثمان حلمي. والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحيتي « الحرية والعدالة » و« أرض السلام » مما لمؤلفهما محمد محمد شعبان، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « جلاء الصدا » لمؤلفها عبد الواحد فرج، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « السلسلة والغفران » لمؤلفها علي أحمد باكثير.

٤ — القصة الطويلة:

تقدم للجنة ثماني قصص وقد رأت اللجنة — كما هو مخول لها — تعديل قيم الجوائز فجعلت درجة بين الدرجة الأولى وبين الدرجة الثانية سمتها « الثانية الممتازة وقدرها مئة وعشرون جنيها » وجعلت قيمة الدرجة الثانية تسعين جنيها ، وزادت درجة ثالثة خصصت لها خمسين جنيها . ثم رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « بعد الغروب » لمؤلفها محمد عبد الحليم عبد الله ، ومنح الجائزة الثانية الممتازة وقدرها مئة جنيه لقصة « وراء الأفق » لمؤلفها محمد محمود شعبان . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها لقصة « رجل المعجزات » لمؤلفها محمد أمين حسونه . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها « دعاء الفجر » لمؤلفها حسين محمد القباني . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « طريق المجد » لمؤلفها سعد مرسي أحمد . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « شفاء عذراء » لابراهيم محمد بايزيد .

٥ — القصة القصيرة :

تقدم للجنة سبع وعشرون قصة رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها خمسة وعشرون جنيها لقصة « الضاربون في الأرض » لنظمي لوقا . والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصة « غابت الشمس » لمحمد يسري أحمد ، والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصتي « الأرملة العذراء » و « الأعماق » معا لمؤلفهما صلاح الدين حافظ ، والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لقصة « سرقة بالطابق السادس » ليوسف إسحاق الشاروني ، والجائزة الثانيـة عشرون جنيها لقصة « الملي افندي » لنجيب محمود عزب . والثانية عشرون جنيها لقصة « صراع » لرجائي محمد . والثانية عشرون جنيها لقصة « مناسبة ليلة » لعبد العزيز شريف . والثانية عشرون جنيها لقصة « قبور في الطريق إلى تل أبيب » لعواطف بيومي . والثانية عشرون جنيها لقصة « أسطورة الأساطير » لنبهان سعد الدين . والثانية عشرون جنيها لقصة « تصفية حساب » لنصري عطا الله . والثانية عشرون جنيها لقصة « هؤلاء المساكين » لمحمد عبد الرازق مرزوق . والثانية عشرون جنيها لقصة « عذراء دمشق » لابراهيم محمد بايزيد . والثانية عشرون جنيها لقصة « نداء الإنسانية » لعز الدين فراج . والثانية عشرون جنيها لكل من قصتي « درس » أو « السيد الجديد » معا لمحمد لبيب البوهي .

٦ — البحوث الأدبية والفنية :

تقدم للجنة ثلاثة بحوث رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لبحث « ابراهيم باشا » لمؤلفه صبري كامل . والثانية مئة جنيه لبحث « مسلم بن الوليد » لحسين محمود البشبيشي . وجائزة ثالثة وقدرها خمسون جنيها لبحث « الحب عند العرب » لمؤلفه محمد فتحي .

٧ — بحوث في التاريخ والآثار :

لم يتقدم أحد .

٨ — الرحلات :

تقدم للجنة مؤلفان رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لكتاب « رحلات في الغرب وأسبانيا » لمحمد وهبي .

٩ — الموضوعات المبسطة في العلوم :

تقدم للجنة سبعة موضوعات رأت منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لكل من موضوعي « القيمة الغذائية » « ودنيا العلم » معا لمؤلفهما عز الدين فراج ، والجائزة الأولى مئة وخمسون جنيها لموضوع « الغذاء الكامل » لمحمد الشحات محمد ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لموضوع « العلماء ثائرون » لجمال الدين موسى ، والثانية مئة جنيه لموضوع « الجيل الجديد » لعزت السيد ابراهيم ، والثانية مئة جنيه لكل من موضوعي « الساعات الكهربائية » و « وسائل السفر الحديث » معا لمؤلفهما حسن الشباري .

توفيق الحكيم ، ابراهيم عبد القادر المازني ، عباس العقاد ، عبد الرحمن صدقي ، زكي طليمات ، فريد أبو حديد ، دكتور ابراهيم عبد الرحمن ، دكتور مصطفى الديواني .

بمعتمد السنهوري

١٣٦٢

مطبعة الرسالة